العالم الأثري الشيخ صالح الفلاني وجهوده السلفية في المدينة المنورة

(١١٦٦ - ١٢١٨هـ/ ١٧٥٣ - ١٨٠٣م)

د. محمد علي فهيم بيومي
قسم التاريخ والحضارة - كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر بالقاهرة

تعود أهمية الدراسة عن الشيخ صالح الفلاني - رحمه الله - إلى الجهود البارزة التي قام بها من أجل خدمة الدين الإسلامي من خلال اتجاهه السلفي ومشاركته في تأسيس مدرسة إصلاحية في المدينة المنورة مع كوكبة مهمة من أساتذته وتلاميذه، كان لها أبرز الأثر في عودة الفكر السلفي تيارا مؤثرا ليس في المدينة المنورة وحسب، بل تيار له وجوده وانتشاره وذيوعه في العالم الإسلامي منذ ذلك التاريخ.

وتعود أهمية الموضوع أيضاً إلى محاولة الوصول إلى حقيقة تتمثل في موضوعية مناهج التيارات السلفية وأهدافها التي نالت هجوماً كبيراً ممن وصفوها بالتشدد والانغلاق، وهم لا يدركون أن الأساس المتين الذي بني عليه هذا الفكر في القرن الثاني عشر الهجري وتحديداً منذ قيام حركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (١٢٠٦هـ/ ١٧٩١م) وما تلاها من جهود دينية وإصلاحية تسير على المنهج نفسه الذي كان هدفه الأسمي فتح (باب الاجتهاد)، واستنباط الأحكام الشرعية من المصادر الأصلية للتشريع الإسلامي، لإظهار يسر الدين بعيداً عن القوالب الجامدة، وهو ما يفسر لنا اهتمام السلفيين في

مصنفاتهم بمثل هذه القضايا(١)، وهو ما لا يفهمه خصومهم؛ لأن غاية الأمر أن هؤلاء العلماء - وهم المدققون - يرون أن الأصل في الأحكام هو الدليل، ولا تجوز مخالفة النصوص الإسلامية الصريحة حتى لا يقع العوام في المحاذير. أما ما أثار السلفيين - ومنهم شيخنا المعني بهذا البحث خلال عصره - كان تساهل العلماء النظاميين التابعين للدولة العثمانية؛ مما جعل في منهجهم استنكارا لهذا التساهل الذي لا ينبغي أن يكون من العلماء الكبار المتخصصين في العلوم الشرعية في المدينة المنورة وغيرها من الأقاليم الأخرى مما سوف يظهر جليًا في موقفه من علماء عصره، ورأيه في نظام التعليم القائم على دراسة المتون التي تورد فيها الآراء العلمية والفقهية الجامدة دون إيراد دليل، بما يؤثر سلبًا على الفقه والإرث الإسلامي، ويفقده الكثير من أهدافه وحقائقه، وغير ذلك من الموضوعات التي تعد لب المشكلة الحقيقي؛ مما دفع هؤلاء العلماء أصحاب هذه المدرسة إلى القيام بتلك الجهود الرائدة؛ محاولين العودة بالفقه والشريعة والدين الإسلامي عامة إلى ما كان عليه عند السلف الصالح - رضي الله عنهم أجمعين - وهو ما دفعني إلى القيام بهذا العمل المتواضع؛ سعياً وراء تلك الجهود المخلصة في عصورها المتأخرة.

ومما ضاعف من هذه الأهمية هو ندرة المادة التاريخية عن هذا الفكر ورجاله، يؤكد ذلك أن الشيخ صالح الفلاني وهو العالم السلفي لا يكاد يذكر إلا عرضاً، ولا يُذكر عنه إلا انتماؤه إلى جماعة

---

(١) راجع رسائل الشيخ محمد بن عبدالوهاب التي جمعها ناصر الدين الأسد؛ لترى فيها مواقفه من كثير من هذه القضايا التي أثيرت على الفكر السلفي وما تزال حتى الآن، على الرغم من أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد فندها جميعا في ثنايا هذا المصنف المهم. يراجع: ابن غنام، حسين النجدي: تاريخ نجد، حرره وحققه ناصر الدين الأسد، قابله على الأصل عبدالعزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ، الطبعة الثانية، دار الشروق، القاهرة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥، ص٢٠٧، ٣٩٥ وما بعدها.

دينية(٢) دون التنويه بفضله وجهوده الكبيرة في كتب التراجم التي تحدثت عنه باستثناء عدد قليل من المؤرخين.

ومما يؤكد أيضاً أهمية إبراز الجهود السلفية التي نادى بها هذا العالم الجليل كونه واحداً من كوكبة فريدة متعاصرة من علماء الفكر السلفي في العالم الإسلامي كوّنوا فيما بينهم مدرسة عظيمة الشأن إبان القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي في مختلف الأقاليم الإسلامية، ولعل من أبرز علماء هذا التيار المهم ومجتهديه الإمام محمد بن عبدالوهاب في نجد والجزيرة العربية، وأبو الحسن السندي الأثري(٣)، ومحمد بن حياة السندي (١١٦٥هـ/ ١٧٥١م) في المدنية المنورة، والشيخ صالح البهوتي(٤)، والشيخ علي الصعيدي(٥)

---

(٢) الفلاني، صالح بن محمد بن نوح: إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار وتحذيرهم عن الابتداع الشائع في القرى والأمصار من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأعصار، تحقيق الأستاذ منير أحمد، دار الفرقان، د. ت، مقدمة التحقيق ص (ي، هـ). القنوجي، صديق بن حسن خان: أبجد العلوم، بهوبال، ١٢٩٥هـ، ص٨٤٩. الكتاني، محمد بن عبدالحي: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، فاس، المغرب، ١٣٤٦ - ١٣٤٧هـ، ج١، ص٢٠٩.

(٣) أبو الحسن السندي بن عبدالهادي الأثري، مولده بالسند، ودرس في الحجاز خاصة في المدينة، وكان محققا في الحديث والتفسير والفقه والمعاني والمنطق، وله مؤلفات، وكانت وفاته سنة ١١٣٦هـ. المرادي، محمد: سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر. ضبطه وصححه محمد عبدالقادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ج٢، ص٨١.

(٤) الشيخ صالح بن حسن بن أحمد، ولد في بلدة بهوت بمصر، ثم رحل إلى القاهرة، تعلم في الأزهر، ثم رحل إلى المدينة المنورة، ثم عاد إلى القاهرة، وتوفي عام ١١٢١هـ. مجهول: تراجم أعيان المدينة المنورة، تحقيق الدكتور محمد التونجي، دار الشروق، جدة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص٦٠. البغدادي، إسماعيل باشا: إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م، ج٢، ص٩٦. البغدادي، إسماعيل باشا: هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، دار الفكر، بيروت، ١٤٠١هـ/ ١٩٨٢م، ج١، ص٤٢٤.

(٥) الشيخ علي بن مكرم الصعيدي العدوي المنفيسي، المالكي مذهباً. كان صاحب فكر سلفي إصلاحي، فهاجم الصوفية، واتجه إلى العلوم الأثرية والعقلية، وتوفي سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م. علي الصعيدي: سند الشيخ العدوي، مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم ٧١ مصطلح حديث، ورقة ٦-٧. الجبرتي، عبدالرحمن بن حسن: عجائب الآثار في التراجم والأخبار، دار الجيل، بيروت، د. ت، ج١، ص٤٧٦.

في مصر، والشيخ عثمان بن فودي (١٢٣٢هـ/ ١٨١٧م) في السودان وغرب أفريقيا، وغيرهم ممن يعدون الكوكبة الإصلاحية التي كان لها أبرز الأثر في الحياة الدينية والعلمية في المدينة المنورة والجزيرة العربية بوجه عام، ومنها انتقل إلى العالم الإسلامي حتى صار أكثر الاتجاهات الفكرية والإسلامية شيوعاً وانتشاراً في أقاليمه المختلفة.

ومما يضاعف أهمية هذا الموضوع تلك الحرية العلمية والسياسية التي تجعل علماء الإسلام يسيحون بين مختلف الأقاليم الإسلامية دون أي مانع يمنعهم من توصيل أفكارهم ومناهجهم الدينية، وهو ما يسَّر على الشيخ صالح انتقاله إلى بلاد الشمال الأفريقي ووصوله إلى المدينة المنورة، ليتأثر بعلمائها والوافدين إليها، ثم يؤثر فيما بعد في رجال العلم في فترة البحث؛ مما كان له أثره في ذيوع مبادئ هذه المدرسة العلمية المهمة.

نشأته ونسبه:

يذكر المؤرخون أن اسمه الشيخ صالح بن محمد بن نوح بن عبدالله بن عمر بن موسى بن محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن عبدالله بن عمر بن علي بن محمد بن أحمد بن عمر بن محمد بن محمد بن الحافظ عليم الدين الأندلسي الشاطبي بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن بن قاسم(٦).

وكان مولده سنة ١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م في موطن قبيلته تحديداً بمنطقة فوت جلاه (Futu Galloh)(٧) التي تقع في دولة غينيا الحالية

---

(٦) البيطار، عبدالرازق: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، حققه ونسقه وعلق عليه حفيده محمد بهجة البيطار، الطبعة الثانية، دار صادر، بيروت، ١٩٩٣م، ج٢، ص٧٢٢.

(٧) بروكلمان، كارل: تاريخ الأدب العربي، أشرف على الترجمة أ. د. محمود فهمي حجازي. نقله إلى العربية أ. د. عمر صابر عبدالجليل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٩م، ق٨، ص٤٢.

في غرب أفريقيا(٨)، وينهي المؤرخون نسب الشيخ إلى سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين(٩)، على الرغم من نسبته إلى قبيلة حامية، وهو ما يستحق المناقشة في السطور الآتية.

نسبته إلى القبيلة الفلانية:

ينسب الشيخ صالح إلى القبيلة الفلانية، والفولانيون أو الفلانيون(١٠) هم في الأصل قبائل رعوية حامية من البربر، استقرت في منطقة شرق أفريقيا، ثم دخلوا بلاد السودان الواسعة الأطراف المحددة جغرافيًّا بين البحر الأحمر شرقاً والمحيط الأطلسي غرباً، واستقرت منهم جماعات كبيرة فيها، وعمل معظمهم بالزراعة، أما عن وصول الإسلام إلى هذه القبيلة فتفيد الروايات التاريخية أن جيشاً إسلاميًّا أرسله عقبة بن نافع رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عام (٦٣هـ/ ٦٨٣م) إلى هذه المناطق عندما كان أميراً على أفريقية، واختلط الجنود المسلمون بهذه القبيلة، وتزوجوا منهم، وبالتالي انتشر الإسلام واللغة العربية في هذه المنطقة الجغرافية الواسعة، ثم قاموا بنشر الإسلام في المناطق المجاورة غرباً وجنوباً ساعدهم على ذلك أن هذه البلدان - مستقر الفلانيين - تعد ملتقى الطرق في وسط

> **الفولانيون أو الفلانيون هم في الأصل قبائل رعوية حامية من البربر**

---

(٨) الحضراوي، محمد المكي: نزهة الفكر فيما مضى من الحوادث والعبر في تراجم رجال القرن الثاني عشر والثالث عشر، حققه محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٦م، ق٢، حاشية ص٤٥.

(٩) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩، ص٤٢.

(١٠) تعرف القبائل الفلانية بأكثر من اسم، فهم الفلايا عند الكافوري، والتدا عند أهل السودان الشرقي، والغلب عند السنغال، والهوسا والطوارق، والفلانية تذكر هكذا؛ لأن فُلاَّنة على وزن رُمَّانة، وهو الأولى، وتذكر أيضاً الفولانية، ويرجح الأول بسبب ذكر الشيخ صالح بنفسه هذه النسبة، وهو ما جعلناه أصلاً في هذا البحث. الدكو، فضل كلود: الثقافة الإسلامية في تشاد في العصر الذهبي لإمبراطورية كانم، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٩م، ص٨١- ٨٢.

أفريقيا، حيث يوجد عدد كبير منهم في كثير من الدول الواقعة في هذه المنطقة، مثل: تشاد والنيجر ومالي والسنغال وغانا وشمال نيجيريا، وبالتالي ظهر دورهم القوي في الدعوة إلى الإسلام، شاركتهم في ذلك القبائل الأخرى التي ساكنتهم(١١).

وظهر من هذه القبيلة علماء كثيرون كان لهم فضل كبير في نشر الإسلام والثورة على الخرافات التي كانت شائعة في بعض تلك الأقاليم الأفريقية؛ مما دفعهم إلى الدعوة إلى الإصلاح بالالتزام بالتعاليم الإسلامية، ولعل من أبرزهم الشيخ عثمان بن فودي وغيره من هؤلاء الأعلام(١٢)، وعلى رأسهم الشيخ صالح المعني بالدراسة.

وخلاصة القول: إن هذه القبيلة اعتنق معظم أفرادها الإسلام، وتمسكوا به، وأخلصوا له، كما كانت لغة العلم والدين والثقافة هي اللغة العربية مع بقاء لغات ولهجات محلية، يتحدث بها الأفراد في محيط العشائر والبطون(١٣).

نسبته إلى عمر بن الخطاب:

ينسب المؤرخون وكتاب التراجم الشيخ صالح إلى عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ويشكك في هذه النسبة بعض الباحثين على أساس أن القبيلة الفلانية في الأساس حامية بربرية، وليست عربية، وبالتالي تستبعد المصادر التاريخية هذه النسبة، إلا أنه بالرجوع إلى الروايات التاريخية يتضح أن النسبة إلى عمر بن الخطاب تبدو صحيحة وحقيقة تاريخية، وذلك للأسباب الآتية:

---

(١١) المرجع نفسه، ص٢١٤-٢١٨.

(١٢) من هؤلاء العلماء أيضاً الشيخ عبدالسلام الفتري، والشيخ محمد بن سنة وغيرهما الكثير. انظر: الغنيمي، عبدالفتاح مقلد: الإسلام وحضارته في وسط أفريقيا - سلطنة البولالا، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٦م، ص٨٦.

(١٣) السكاكر، محمد بن علي: محمد بن عبدالوهاب ودعوة الشيخ عثمان بن فودي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٦١ وما بعدها.

أ - ما سبق أن أشرنا إليه من أن عقبة قد أرسل جيشاً اختلط بالقبائل في بلاد السودان ومنها القبيلة الفلانية، وتزاوجوا فيما بينهم(١٤)، ولا مانع من أن يكون الشيخ صالح من أحفاد أحد الجنود العرب المسلمين.

ب - أن الشيخ عبدالحي الكتاني في فهرس الفهارس قد أكد أنه رأى هذه النسبة مكتوبة بخط يد الشيخ صالح ذاته، ويقول في ذلك: "وما ذكر من كونه عمري النسب هو الموجود بخطه رافعاً عموده إلى سيدنا عمر بن الخطاب"(١٥). وهو ما يجعل الباحث يطمئن إلى صحة النسبة، ولا عبرة في ذلك بما يذكره الباحثون من أن النسبة إلى الصحابة والتابعين وغيرهم، مثل: العباس (٣٢هـ/ ٦٥٣م) وعمر بن الخطاب، وعقبة بن نافع (٦٣هـ/ ٦٨٣م) رضي الله عنهم ليست وثيقة؛ وذلك لأن الشيخ صالح أجلّ من أن يدعي هذا النسب افتراءً، وهو أحد أبرز علماء السلف بما يفترض معه صدق الدعوى.

رحلاته في طلب العلم:

من أهم سمات العلماء المتميزين الرحلة في طلب العلم، وهو دأب العلماء المسلمين وبخاصة الذين عنوا بعلوم السنة، فكانت جهودهم هذه من أجل طلب الحديث الشريف ورواياته، والتعرف على رواة الحديث في الأقاليم كافة حفظاً للسنة النبوية الشريفة، ومن أجل نيل الإجازة، وهو ما سعى إليه الشيخ صالح الفلاني، الذي تعددت رحلاته منذ نعومة أظفاره، فرحل وهو في الثانية عشرة من عمره من بلاد السودان متجهاً جنوباً إلى باجي(١٦)، فأقام فيها ست سنوات،

---

(١٤) الجمل، شوقي عطا الله وآخر: تاريخ المسلمين في أفريقيا ومشكلاتهم، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٦م، ص١٠١.

(١٥) الكتاني، فهرس الفهارس، ج١، ص٢٠٩.

(١٦) إقليم باجي أو بيجرمي أو باجرمي: يقع جنوب بحيرة تشاد على مصب نهر شارب في منطقة الصحراء الكبرى بأفريقيا. الدكو، الثقافة الإسلامية في تشاد، ص١٩٢.

ومنها رحل إلى بلدة القبلة(١٧) بشنقيط(١٨)، ثم إلى تمبكتو(١٩)، ثم إلى مراكش، ومن مراكش في طريقه إلى المدينة المنورة انتقل من تونس إلى مصر، وبقي في كل إقليم مدة زمنية التقى خلالها أشهر علماء تلك الأقاليم حتى وصل إلى المدينة المنورة سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م، وظل فيها حتى وفاته(٢٠)، وبالتالي تظهر عزيمة الشيخ صالح الذي جاب كل هذه الأقطار بحثاً عن الحديث ورواة السنن فيها.

الأحوال السياسية في المدينة المنورة أثناء وجوده فيها:

منذ أن وطئت أقدام الشيخ صالح الفلاني أرض المدينة المنورة والصراعات والفتن السياسية والعسكرية مشتعلة؛ مما كان له أثره على اتجاهات الشيخ، لارتباطها بمواقف أصحاب الوظائف الرسمية من العلماء كالقضاة والمفتين الذين تعينهم الدولة العثمانية، حيث شهدت المدينة عدداً من الفتن العسكرية، والمشكلات السياسية، وذلك ابتداءً من سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م التي نشبت فيها فتنة داخل فرقة النوبتجية(٢١)، حيث اعتقل شيخ الحرم عدداً منهم، وأرسلهم إلى أمير

---

(١٧) القبلة: مدينة مشهورة إحدى مدن السوس الأقصى بالمملكة المغربية حاليا. الشوربجي، رضا: الرحلة العلمية المغربية إلى الأزهر في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، ١٤٢٤هـ، ص٩٢.

(١٨) شنقيط أو بلاد الشناقطة: تقع حالياً في جمهورية موريتانيا في غرب أفريقيا. الحضراوي: نزهة الفكر، ق٢، ص٤٦.

(١٩) تمبكتو أو تمبكت (Tombouctou): إحدى مدن جمهورية مالي في غرب أفريقيا، وهي مركز تجاري على نهر النيجر، خرج منها الكثير من العلماء والمؤرخين، وتعد من أهم مراكز الثقافة الإسلامية في أفريقيا. الحضراوي: نزهة الفكر، ق٢، ص٤٦.

(٢٠) الواسعي، عبدالواسع بن يحيى: الدر الفريد الجامع لمتفرقات الأسانيد، مطبعة الموسوعات، مصر، ١٣٥٧هـ، ص١٢٠، البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٤٢٤.

(٢١) نوبتجية: مصطلح عثماني يعني إحدى الفرق العسكرية، كانت تقوم بالحراسة والغفارة ليلاً. سليمان، أحمد السعيد: تأصيل ما ورد في تاريخ الجبرتي من الدخيل، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩م، ص١٩٥-١٩٦.

مكة المكرمة الشريف أحمد بن سعيد(٢٢). وقد طلب رجال النوبتجية إطلاق سراح رجالهم المعتقلين بعد أربعة أيام فرفض شيخ الحرم طلبهم؛ مما دفعهم إلى الثورة وإخراج رجالهم بالقوة، ولم تهدأ هذه الثورة إلا بعد تدخل الأعيان والحكام، وبخاصة قاضي المدينة، والمفتي، وشيخ الحرم. وفي السنة نفسها قام صراع آخر بين محمد فلبلي(٢٣) كتخدا القلعة، ومحمد القمقمجي(٢٤) كتخدا النوبتجية، حيث أذاع كل فريق أنه صاحب الحق، وانتهت الفتنة بصراع دموي كبير بعد الهجوم على المدينة، ولم ينته الأمر إلا بعد تدخل الدولة التي راسلها مفتي الحنفية تاج الدين إلياس(٢٥) لمدة زمنية استشاط الصراع بعدها، وأصبح كالبركان ليس في المدينة وحسب، وإنما انتهكت حرمة المسجد النبوي الشريف نفسه يوم الجمعة وقت الصلاة، ولم ينته الأمر إلا بعد جهود مضنية من شيخ الحرم

---

(٢٢) الشريف أحمد بن سعيد بن سعد المكي الحسني تولى إمارة مكة المكرمة سنة ١١٨٤ - ١١٨٦هـ/ ١٧٧٠ - ١٧٧٢م، دخل في صراعات مع ابن أخيه حتى تغلب عليه ابن أخيه الشريف سرور سنة ١١٩٣هـ/ ١٧٧٩م. عبدالغني، عارف أحمد: تاريخ أمراء مكة المكرمة، دار البشائر، دمشق، ١٩٩٥م، ص٨٠٦ وما بعدها. دحلان، أحمد زيني: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، ص٢٥٠ وما بعدها.

(٢٣) محمد بن صالح بن إسماعيل أفندي الفلبلي نسبة إلى فلبة، وهي مدينة مشهورة في تركيا، عين جاويشا للانكشارية، ثم خرج من المدينة المنورة، وسكن ينبع نحو إحدى عشرة سنة، ثم عاد إليها حتى توفي سنة ١١٩١هـ/ ١٧٧٧م. الأنصاري، عبدالرحمن: تحفة المحبين والأصحاب فيما للمدنيين من الأنساب، تحقيق محمد العروسي المطوي، المكتبة العتيقة، تونس، ١٩٧٩م، ص٣٨٥.

(٢٤) محمد جلبي بن مصطفى بن محمد بن جعفر بن مصطفى باشا أحد وزراء السلطان محمد الرابع، ودخل محمد القمقمجي في فتن وأحوال حتى أخرج من البلاد بالفرمان السلطان، فرحل إلى مكة، ثم عاد إلى المدينة ثم خرج منها، وقد أنفق في قتاله للمدينة ٣٠٠٠٠ قرش عثماني في الأولى والثانية، وكان موجوداً حتى وفاة صاحب تحفة المحبين. الأنصاري: تحفة المحبين، ص٣٩٦.

(٢٥) تاج الدين بن جلال الدين إلياس زاده خطيب المسجد النبوي الشريف، ولد في حدود سنة ١١٤٤هـ/ ١٧٣١م، وتولى إفتاء الحنفية بالمدينة المنورة، وعاش حتى نهاية القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي. مجهول: تراجم أعيان المدينة المنورة، ص٣٢.

والقضاة والمفتين وأمير الركب الشامي(٢٦). وهو ما يدفعنا إلى تصور رفض الشيخ صالح رفاقه تدخلات هؤلاء العلماء ومواقفهم السياسية.

كذلك في سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م قامت فتنة أخرى، وفد على أثرها إلى المدينة المنورة الشريف سرور بن مساعد(٢٧) في الخامس من رجب، وأوهم المتحاربين بالصلح خداعاً، وهجم على أهل المدينة وأعيانها، وكبلهم بالأغلال، وحاول اقتحام قلعة المدينة المنورة، ولم ينته الأمر إلا بعد ثورة عنيفة قام بها بعض أهل المدينة والمجاورين(٢٨).

وفي سنة ١١٩٩هـ/ ١٧٨٤م قامت فتنة أخرى سببها ضعف شخصية شيخ الحرم؛ مما جعل الصراع يعود بين رجال القلعة ورجال النوبتجية، ولم تنته هذه الأزمة إلا بعد جهود مضنية من كبار رجال المدينة وعقلائها(٢٩)، ومن ناحية أخرى فقد ظلت المدينة تتابع عن كثب أنباء العلاقة بين الأشراف والسعوديين، وليس يعنيها سوى الصراع الداخلي الخفي بين مراكز القوى، والتي تأثرت سلباً وإيجاباً بالأوضاع في مكة المكرمة، خاصة بعد الصلح بين الشريف غالب(٣٠)

---

(٢٦) بدر، عبدالباسط: التاريخ الشامل للمدينة المنورة، المدينة المنورة، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م، ج٢، ص٤٠١-٤٠٤.

(٢٧) الشريف سرور بن مساعد بن سعيد بن زيد بن محسن الحسني المكي، أمير مكة سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م، ودخل في صراعات كبيرة مع عمه الشريف أحمد بن سعيد، ثم دخل في صراعات أخرى، وكانت نهايته السجن في ينبع، ثم في جدة حتى توفي سنة ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م. دحلان: خلاصة الكلام، ص٢٥٦.

(٢٨) بدر، التاريخ الشامل، ج٢، ص٤١٥ وما بعدها.

(٢٩) المرجع نفسه، ج٢، ص٤٢٢.

(٣٠) غالب بن مساعد بن سعيد الحسني، من أمراء مكة، وليها بعد وفاة أخيه سرور بن سعيد سنة ١٢٠٢هـ/ ١٧٨٧م، ثم دخل في صراع مع ابن أخيه عبدالله بن سرور، استطاع الشريف غالب هزيمته، وتمكن من القبض عليه حتى استقر له الأمر، وتمكن من الصلح مع الدولة السعودية الأولى بقيادة الإمام سعود بن عبدالعزيز، وكان يراسل بونابرت إبان الحملة الفرنسية على مصر، وأخيراً نفي إلى سلانيك في أواخر عمره، وظل بها حتى توفي سنة ١٢٣١هـ/ ١٨١٦م. الجبرتي: عجائب الآثار، ج٣، ص٥٣٥- ٥٣٦. دحلان: خلاصة الكلام، ص٢٢٥.

والإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود(٣١)، وتبادل الهدايا والرسائل؛ مما مكن الدعاة السعوديين من نشر أفكارهم الإصلاحية في المدينة المنورة - التي كانت تنتشر فيها الأفكار والاتجاهات الأخرى - إلى جانب بعض المصلحين من أصحاب الفكر السلفي؛ لذلك لم تكن المدينة المنورة تمثل عائقاً أمام ما كان يدعو إليه السلفيون بسبب وضوح الدعوة وبساطتها، ووجودها؛ إذ كانت المدينة المنورة تموج في بداية الثلث الثاني من القرن الثاني عشر الهجري بحركة سلفية قوية، كان أساسها والداعي إليها الشيخ أبو الحسن السندي الأثري، وفي سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م، توفي الشيخ صالح، كما توفي الإمام عبدالعزيز مقتولاً في الدرعية، وتولى الإمامة ابنه الإمام سعود بن عبدالعزيز(٣٢).

وبعد هذا العرض يتضح أن المدينة المنورة خلال الحقبة التاريخية التي واكبت وجود الشيخ صالح فيها من (١١٨٧- ١٢١٨هـ/ ١٧٧٣ - ١٨٠٣م)، لم تشهد استقراراً إلا في أحوال نادرة، ورأى الشيخ صالح العديد من العلماء وقد شاركوا في الصراعات لأغراض سياسية لا تناسب هيبة العلماء؛ مما كان له أثره في إعلان أفكاره الإصلاحية، التي توجت وصارت منهجاً رسمياً بعد وفاته بعامين.

---

(٣١) الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، إمام من أئمة آل سعود في الدولة السعودية الأولى، اتسعت الدولة كثيرًا في عهده، ولد سنة ١١٣٢هـ/ ١٧٢٠م، كان مغواراً شديد البأس مجاهدا حتى استشهد في سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م. الزركلي، خير الدين: الأعلام، الطبعة السابعة، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م، ج٤، ص٢٧.

(٣٢) سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، من أئمة آل سعود في الدولة السعودية الأولى، يعرف بسعود الكبير، وليها يوم مقتل أبيه سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م. وكان مولده سنة ١١٦٣هـ/ ١٧٥٠م، امتد ملكه إلى أطراف عمان، ونجران، واليمن، وعسير، ومن البحر الأحمر إلى الخليج العربي، وتوفي سنة ١٢٢٥هـ/ ١٨١٤م. إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م، ج١، ص٣٦٦. الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٩٠.

البيئة العلمية:

شهد النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي حركة علمية طيبة لا بأس بها في المدينة المنورة في مختلف الاتجاهات الفكرية(٣٣)، إذ تتميز المدينة المنورة عن غيرها من مدن الحجاز بوجود مدرسة سلفية إصلاحية كانت ملاذاً وموئلاً قوياً، فوفد إليها العلماء من جميع الأقاليم الإسلامية في هذه الحقبة التاريخية المهمة، وعاش معظمهم فيها حتى وفاتهم، وكان منهم الشيخ علي الصعيدي المصري، والشيخ عيد المصري(٣٤)، والشيخ محمد بن حياة السندي، كذلك فقد وفد إلى المدينة أيضاً في هذه المرحلة التاريخية المهمة الشيخ عبدالله بن سيف(٣٥)، ولا شك أن وجود الشيخ صالح الفلاني في المدينة المنورة في وسط تأثير هذه الكوكبة العلمية له أثر كبير في تشكيل عقليته وثقافته، وساعده على إظهار موهبته العلمية المبكرة بصورة واضحة، وبالأحرى نقول: أعطته الجرأة على أن يصدع بآرائه وأفكاره التي كانت تتصادم مع اتجاهات الدولة العثمانية حينذاك، ومن ثم يتضح لنا كيف كان للبيئة العلمية أثر في تكوينه العلمي، وإظهار نبوغه وتفوقه منذ دخلها شاباً

---

(٣٣) فهيم، محمد علي: دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز إبان العصر العثماني في الفترة من ٩٢٣ - ١٢٢٠هـ/ ١٥١٧ - ١٨٠٥م، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ والحضارة، كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر، القاهرة، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م، ص٤٨١ وما بعدها.

(٣٤) الشيخ عيد بن علي المصري، القاهري، الشافعي الشهير بالنمرسي، أحد علماء مصر الكبار، رحل إلى الحجاز، وأخذ عنه عدد من العلماء منهم عبدالرحمن بن حسن الفتني المكي، وجاور أواخر عمره بالمدينة، واستقر بها حتى توفي، ودفن في البقيع سنة ١١٤٠هـ/ ١٧٢٧م. المرادي: سلك الدرر، ج٣، ص٢٦٢.

(٣٥) الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف بن عبدالله الشمري الفرضي، فاضل من أهم علماء المدينة المنورة، انتقل إليها من نجد واستقر بها، وأخذ عنه خلق كثير، من أهمهم ولده إبراهيم، والإمام محمد بن عبدالوهاب، وظل يفتي ويدرس حتى وفاته سنة ١١٥٣هـ/ ١٧٤٠م. الأنصاري: تحفة المحبين، ص٣٨٦. السكاكر: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص٧٦. أبو طامي، أحمد بن حجر: الشيخ محمد بن عبدالوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه، دار الاعتصام، القاهرة، ١٩٧٨م، ص١٦-١٧.

متحمساً يبلغ من العمر إحدى وعشرين سنة حيث دخلها سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م(٣٦)، وبما أنه ولد سنة ١١٦٦هـ/ ١٧٥٣م(٣٧) فيكون هذا هو عمره حين وصوله المدينة المنورة، ولذلك نسب إليها؛ لأنه أخذ عن أغلب علمائها، وظهرت أفكاره فيها بصورة واضحة دون غيرها من الأقاليم التي رحل إليها فضلاً عن تصنيفه لكل مؤلفاته بها، ووضح جلياً نضوجه العلمي، وإظهار أثره العلمي في هذا المكان المبارك(٣٨)، الذي عاش فيه أكثر من نصف عمره.

شيوخه وإجازاته:

أخذ الشيخ صالح عن كبار علماء عصره في مختلف أقاليم العالم الإسلامي، ففي القبلة من بلاد شنقيط مكث سنة كاملة يتلقى العلم عند الشيخ محمد عالم بُوّنة(٣٩)، وفي باغي تتلمذ على يد الشيخ محمد بن سِنّة(٤٠) ست سنوات، وهو أكبر مشايخه، وأوسعهم حفظاً وفهماً(٤١)، أخذ عنه الشيخ صالح الموطأ في فقه الإمام مالك برواية يحيى بن يحيى الليثي (٢٣٤هـ/ ٨٤٩م)، وذلك لموضعها عند أهل المدينة ومكانتها دون سائر الروايات، كذلك أخذ عنه في الحديث كتب الصحيح الكبرى، مثل: كتب البخاري ومسلم وابن ماجه

---

(٣٦) الحضراوي: نزهة الفكر، ج٢، ص٤٥. البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٤٢٤.

(٣٧) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، ص (ر، س). بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩، ص٤٢.

(٣٨) البيطار: حلية البشر، ج٢، ص٧٢٣. الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٩٥.

(٣٩) بُوّنة بالضم ثم بالسكون: مدينة حصينة من أشهر مدن الجزائر، وتسمى حاليا مدينة عنابة، وهي من أشهر المدن التجارية والزراعية بها. الشوربجي: الرحلة العلمية، ص٩٣.

(٤٠) الشيخ الإمام المعمر أبو عبدالله محمد بن سِنّة الفلاني العمري، ولد سنة ١٠٤٢هـ/ ١٦٣٢م، درس في السودان، والسوس الأقصى، وشنقيط في موريتانيا، وغيرها من بلاد المغرب، وكان معمراً عاش حتى سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م، وقيل: سنة ١١٩٠هـ/ ١٧٧٦م. الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص٣٦٣، ٣٦٧. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩، ص٥٥٤.

(٤١) الفلاني: إيقاظ الهمم، ص (ر).

وغيرهم(٤٢). وفي التفسير أخذ أهم كتب التفاسير الفقهية، وهو كتاب الإمام القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، وغير ذلك من المصنفات في العربية وغيرها مما أورده الشيخ صالح بنفسه في كتابه "قطف الثمر"(٤٣)، كذلك أخذ عن محمد سعيد سفر المدني(٤٤) علم الحديث، والفقه، والتفسير، والنحو، ويعد هذا العالم الجليل هو أبرز من نقل فكر الشيخ أبي الحسن السندي الكبير والشيخ محمد بن حياة السندي في مسند الإمام أحمد بن حنبل مع زوائد أخرى(٤٥)، كما تلقى العلم كذلك على يد الشيخ التاودي بن سودة(٤٦) حينما لاقاه في طرابلس الغرب وهو راجع من الحج، قرأ عليه أوائل ابن سليمان الروداني(٤٧)،

---

(٤٢) المصدر نفسه، ص٦٤، ٦٦، ٧٨، ٩٩، ١٠٤.

(٤٣) الفلاني، صالح بن محمد: قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر، مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم ١٩٥ مصطلح حديث، وقد أوردنا الورقة الأولى والأخيرة منه في ملاحق البحث حتى يتعرف الباحثون على طريقة الكتابة، ومنهج كتاب الأثبات والمشيخات في مطلع القرن الثالث عشر الهجري. انظر أيضاً ورقات ٣ - ٦، ٩ - ١٠.

(٤٤) الشيخ محمد سعيد بن محمد الأمين سفر، بحرف السين، بينما يذكرها الجبرتي والزركلي صفر، من أبرز علماء الأثر، عاش في مكة حقبة زمنية، رحل بعدها إلى المدينة المنورة، واستقر فيها حتى وفاته سنة ١١٩٢هـ/ ١٧٧٨م، وقد كف بصره، بينما يذكر الزركلي أنه توفي سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م. الفلاني: قطف الثمر، ق٤. الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٤٠.

(٤٥) الفلاني: قطف الثمر، ورقة ٧-٨.

(٤٦) أبو عبدالله محمد بن الطالب بن سودة المري، الفاسي، التاودي، ولد بفاس سنة ١١٢٨هـ/ ١٧١٥م، وأخذ عن كبار العلماء في بلده، ثم رحل إلى مصر، ومنها إلى مكة، ثم رحل إلى المدينة، فأخذ عن علمائها، وترك مصنفات، منها شرح البخاري في أربعة مجلدات، وغيرها، توفي بالمدينة سنة ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م. الجبرتي: عجائب الآثار، ج٢، ص١٤٩- ١٥٢.

(٤٧) عالم بلاد المغرب الشيخ محمد بن محمد بن سليمان المغربي الروداني المالكي، نزيل الحرمين الشريفين المحدث، الفقيه، النحوي، مولده بالمغرب سنة ١٠٣٧هـ/ ١٦٢٧م، أنيطت به الأمور في مكة، حتى لقب الرئيس، ودخل في صراعات سياسية، حتى توفي منفياً في دمشق بعد عام من استقراره في القدس سنة ١٠٩٣هـ/ ١٦٨٣م. ابن سليمان الروداني: صلة الخلف بموصول السلف، مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم ٤٤١٨ ج، ص١٢- ١٣. الإفراني: صفوة ما انتشر من علماء القرن الحادي عشر، مخطوط بدار الكتب المصرية، برقم ٢٩٧١ تاريخ، ص١٩٦-١٩٨.

وبعض التحفة(٤٨) ومنسكه الذي صنفه، والنووية، كما أخذ عن خاله الشيخ عثمان الفلاني(٤٩) وعبدالعزيز المراكشي(٥٠)، وصالح بن محمد العمري(٥١)، وأحمد بن محمد الشهير بابن بابا(٥٢)، كذلك فقد أخذ العلم على يد الكثير من كبار علماء المشرق، ففي مصر أخذ عن الشيخ أبي الحسن علي الصعيدي، والشيخ أبي العباس أحمد الدردير(٥٣)، ومحمد المصيلحي المصري(٥٤) والحافظ مرتضى الزبيدي(٥٥)، ومن بلاد الشام

---

(٤٨) التحفة: هو كتاب "تحفة أهل الحديث عن شيوخ الحديث"، وهو في الحديث في ثلاثة مجلدات. الحضراوي: نزهة الفكر، ق١، ص١٨٧، حاشية رقم ١.

(٤٩) الشيخ عثمان بن عبدالله الفلاني الشهيد، كان خال الشيخ صالح الفلاني، ولم تعرف سنة وفاته. مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٩٤.

(٥٠) الشيخ عبدالعزيز بن حمزة المطاعي المراكشي، تولى القضاء بها حتى لقب قاضي مراكش، ولم تعرف سنة وفاته. مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٩٤.

(٥١) الشيخ صالح بن محمد بن عبدالقادر الفلاني العمري، وهو سمي المترجم، غير أنه لم تعرف سنة وفاته. مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٩٤.

(٥٢) الشيخ أحمد بن محمد بن المختار بن أحمد الشريف التيجاني، أبو العباس شيخ الطائفة التيجانية بالمغرب، الشهير بابن بابا، أقام حقبة بتلمسان وفاس، ثم حج سنة ١١٨٦هـ/ ١٧٧٢م، له مصنفات، توفي سنة ١٢٣٠هـ/ ١٨١٥م. الزركلي: الأعلام، ج١، ص٢٤٥.

(٥٣) الشيخ المحدث أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي حامد العدوي المالكي الأزهري، الشهير بالدردير، عالم مصري، مولده ببني عدي سنة ١١٢٧هـ/ ١٧١٥م، ثم الجامع الأزهر، وصنف وألف ودرس، ثم صار شيخاً للأئمة المالكية في الأزهر، وشيخاً على رواق الصعايدة، حتى توفي سنة ١٢٠١ هـ/ ١٧٨٦م. الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٣٣.

(٥٤) الإمام العلامة، الضرير، المعمر الشيخ محمد المصيلحي الشافعي، أحد العلماء البارزين، أدرك الطبقة الأولى، وأخذ عن شيوخ الوقت، درَّس في المدرسة الصلاحية؛ لأنه أعلم علماء الشافعية حسب شروط وقفيتها، وله مؤلفات مهمة، توفي في١٢ شوال ١٢٠١هـ/ ١٧٨٦م، ودفن في المجاورين. الجبرتي: المصدر السابق، ج٢، ص٣٥. البيطار: حلية البشر، ج٣، ص١٣٦٨.

(٥٥) الإمام اللغوي، الرحالة أبو الفيض محمد بن محمد بن عبدالرازق الشهير بمرتضى الزبيدي الحسيني، الهندي، مولده سنة ١١٤٥هـ/ ١٧٣٢م، حج مراراً، والتقى علماء مكة والمدينة المجاورين، رحل إلى اليمن، والحجاز والشام ومصر، وغيرها حتى استقر في مصر، توفي سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م. علي مبارك: الخطط التوفيقية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ج٢، ص٩٤. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، دار الهلال، القاهرة، د. ت، ج٣، ص٨٨.

الشيخ مصطفي الرحمتي الدمشقي(٥٦) والشيخ محمد بن عبدالرحمن الكزبري(٥٧)، ومن علماء المدينة المنورة والقاطنين بها أخذ عن الشيخ محمد عبدالكريم السمان(٥٨)، كما أخذ أيضاً عن بعض العلماء اليمنيين علوم الحديث والتفسير(٥٩)، ومنهم الشهاب إبراهيم بن الصنعاني(٦٠) وعبدالله بن سليمان الجرهزي الزبيدي(٦١) والشيخ محمد بن عبدالسلام الدرعي(٦٢) والشيخ إبراهيم بن عبدالله بن سيف(٦٣).

---

(٥٦) الشيخ مصطفى بن محمد بن رحمة الله بن عبدالمحسن، جمال الدين الرحمتي الدمشقي الأيوبي الأنصاري، نسبة إلى أبي أيوب الأنصاري، مولده في دمشق، جاور في المدينة سنة ١١٧٨هـ/ ١٧٧٣م، وظل بها حتى كانت وفاته - أثناء رحلة له من المدينة إلى الطائف - الخامس من ذي الحجة سنة ١٢٠٥هـ/ ١٧٩٠م. البيطار: حلية البشر، ج٣، ص١٥٣٦-١٥٣٨.

(٥٧) الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن محمد الكزبري الشافعي، من فقهاء بيت المقدس، نسب والده إلى خاله علي كزبر فنسب إليه، ووضع ثبتاً في أسماء شيوخه، وكانت وفاته سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م. إجازة من الشيخ محمد السيد سعيد (ت ١٢٤٦هـ/ ١٨٣١م) إلى عبدالرحمن الكزبري، مخطوط، دار الكتب المصرية، برقم ٥ مصطلح حديث، ص٢. الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٩٨.

(٥٨) محمد بن عبدالكريم المدني الشافعي، الشهير بالسمان، ولد بالمدينة المنورة سنة ١١٣٠هـ/ ١٧١٧م، ونشأ بها، وأخذ عن الشيخ محمد بن سليمان الكردي نزيل المدينة المنورة، توفي ودفن بالبقيع سنة ١١٨٩هـ/ ١٧٧٥م. المرادي: سلك الدرر، ج٤، ص٧٦. الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص٤٨٠.

(٥٩) الفلاني: قطف الثمر، ورقات ٢١-٢٤.

(٦٠) الأمير إبراهيم بن محمد بن إسماعيل الحمزي الهاشمي الصنعاني الواعظ، ولد سنة ١١٤١هـ/ ١٧٢٩م في صنعاء، كان من دعاة السلف، وكان يرفض التقليد، رحل إلى مكة مرات عدة، وجاور بها، وتوفي بها سنة ١٢١٣هـ/ ١٧٩٩م. البيطار: حلية البشر، ج١، ص٣٤.

(٦١) الإمام عبدالله بن سليمان الجرهزي - وليس الجوهري - الزبيدي اليمني، تلقى العلم على الشيخ علاء الدين المزجاجي، والشيخ محمد بن حياة السندي، كان من علماء الحديث والأثر، درس في الجامع الكبير في زبيد، وتوفي في الربع الأخير من القرن الثاني عشر الهجري. المزجاجي، عبدالخالق زين الدين: نزهة رياض الإجازة المستطابة بذكر المشايخ أهل الرواية والإصابة، تحقيق مصطفى عبدالكريم وعبدالله محمد اليمني، دار الفكر، بيروت، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م، ص٩٨.

(٦٢) الشيخ محمد بن محمد بن عبدالسلام بن عبدالله بن محمد بن محمد الناصري الدرعي، عالم بالحديث، رحالة، جغرافي، مؤرخ، من أهل درعا، تعلم ببلده، وسافر إلى فاس، فقرأ على علمائها، ورحل إلى المشرق مرتين، وله مصنفات، ثم عاد إلى وطنه، وتوفي سنة ١٢٣٩هـ/ ١٨٢٣م. الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٢٠٦.

(٦٣) مجهول: تراجم علماء المدينة المنورة، ص٦٤.

العلاقة بين الشيخ صالح والشيخ محمد بن حياة السندي:

من المهم أن نشير إلى أن الشيخ محمد بن حياة السندي كان من أبرز علماء السلف في المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري، وعلى يديه أخذ العلم كبار علماء العالم الإسلامي؛ لذلك كان ينبغي أن نبحث عن العلاقة بينه وبين الشيخ صالح، وهما أصحاب اتجاه علمي واحد هو الاتجاه السلفي.

وعلى الرغم من أن الشيخ صالح لم يلتق محمد بن حياة السندي على الإطلاق، حيث توفي قبل وصوله إلى المدينة، فأعتقد أنه قد تأثر به تأثراً قوياً خاصة حول قضاياه التي عاش من أجلها، وهنا نورد من الأمثلة ما يؤكد على التأثر الواضح للشيخ صالح باتجاهات أستاذه الذي لم يلقه بل نقل عن مصنفاته، وبدا ذلك ظاهراً جلياً في مصنفات الشيخ صالح الفلاني خاصة في القضايا ذات الصلة بالجهود السلفية، والموضوعات التي تعنى بهذا الميدان، ولعل من أهم هذه الموضوعات موضوع التقليد، فينقل عن الشيخ محمد بن حياة السندي إلزامه كل مسلم معرفة معاني القرآن، في ذلك يقول الشيخ صالح ناقلاً عن شيخه السندي: "يقول شيخ مشايخنا محمد بن حياة السندي: اللازم على كل مسلم أن يجتهد في معرفة معاني القرآن، وتتبع الأحاديث، وفهم معانيها، وإخراج الأحكام منها"، ويجوز له الأخذ بالرخص عند الضرورة، ويعيب على أهل المدينة المعاصرين له موقفهم من السنة الشريفة وتركها والتزام التقليد قائلاً: "أما ما أحدثه أهل زماننا من التزام مذاهب مخصوصة لا يُرى ولا يجوز لكل منهم الانتقال من مذهب إلى مذهب فإن هذا جهل وبدعة وتعسف، وقد رأيناهم يتركون الأحاديث الصحاح غير المنسوخة، ويتعلقون بمذاهبهم من غير سند".

كذلك ينقل عنه رأيه عن سبب ترك الأثر، والأخذ بالرأي، وهو ما يراه من مشكلات علماء عصره، ويعيب عليهم آراءهم التي تبعد بهم

عن الأصول الإسلامية، ونراه ينقل عن شيخه أيضاً حثه للإنسان المسلم أن يتتبع من النقول ما يُحسّن الأخذ بالنصوص والآثار ويبعد عن تحسين الرأي(٦٤) حتى لا يقع الإنسان في تلبيس إبليس، ويقول في ذلك: "ولكن لبّس إبليس على كثير من البشر، فحسّن الأخذ بالرأي لا الأثر، وأوهمهم أن هذا الأولى والأخْير، فجعلهم بسبب ذلك محرومين من العمل بحديث خير البشر ﷺ، وهذه البلية من البلايا الكبر"(٦٥).

ولا شك أن الشيخ صالح كان يجل الشيخ محمد بن حياة السندي، ويعده أحد مشايخه الذين أخذ عنهم اتجاهاته العلمية والفكرية عن طريق شيخه الشيخ محمد سعيد سفر محدث المدينة، ويأخذ عنه مباشرة؛ لذلك كان يعلق على قوله: "ولقد صدق الشيخ رحمه الله، وبذل النصيحة، وأرشد، والله الهادي"(٦٦).

وأما أعلى شيوخه الحجازيين إسناداً(٦٧) فهو المعمر محمد بن محمد بن عبدالله المغربي الزواوي عن الشيخ عبدالله بن سالم البصري(٦٨).

---

(٦٤) الفلاني: إيقاظ همم أولي لأبصار، ص٧٠.

(٦٥) المصدر نفسه، ص٧١.

(٦٦) المصدر نفسه، ص٧٢.

(٦٧) علو السند: هو قلة رجال سند الأحاديث بالنسبة إلى سند آخر يرد به ذلك الحديث بعينه بعدد أكثر من الأول، فالسند الأول يسمى عالياً، والثاني يسمي نازلاً. وهذا العلو له أقسام منها العلو أو القرب من الرسول ﷺ، ومنها القرب من إمام من أئمة الحديث ذوي الصفات العليا أو العلو بالنسبة إلى رواية أحد الكتب الستة إلى غير ذلك من الأقسام. أبو شهبة، الشيخ محمد بن محمد: المدخل في علم الحديث، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٨٢م، ص١١٩-١٢١.

(٦٨) الشيخ عبدالله بن سالم بن عيسى البصري، الشافعي المكي، من علماء الحديث الكبار، أحد العلماء البارزين في وقته، من أهم مصنفاته: الإمداد بعلو الإسناد، والضياء الساري على صحيح البخاري، توفي سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢١م. الواسعي: الدر الفريد، ص١٢١. الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٨٨.

العلاقة بين الشيخ صالح والشيخ محمد بن عبدالوهاب:

لما كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - أبرز شخصية أثرت في الاتجاهات الدينية والعلمية في بلاد الحجاز والجزيرة بوجه عام، كان لابد من البحث عن علاقة علمية بينه وبين أي عالم صاحب اتجاه علمي وديني مشابه، مثل: الشيخ صالح الفلاني، وهو ما يثير السؤال الآتي: هل التقى الشيخُ صالح الفلاني الشيخَ محمد بن عبدالوهاب؟

وللإجابة على ما نحن بصدده، ينبغي معرفة أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد رحل إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، حيث بدأ رحلاته بزيارة الحرمين الشريفين، فسافر إلى مكة المكرمة لتأدية فريضة الحج، ومنها إلى المدينة المنورة التي لحق بها الشيخ صالح في مرحلة تاريخية لاحقة، فالتقى الشيخُ محمد بن عبدالوهاب أستاذَه الشيخ عبدالله بن إبراهيم بن سيف النجدي الفرضي(٦٩)، ثم أخذه الشيخ عبدالله إلى أستاذه الشيخ محمد بن حياة السندي، فعرّفه به وبأهله، فأخذ عنه الحديث وعلومه(٧٠)، ومن المعروف أن السندي كانت وفاته ما بين عامي ١١٦٣- ١١٦٥هـ/ ١٧٤٩-١٧٥١م، وكذلك أخذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن الشيخ محمد بن سليمان الكردي(٧١) المتوفى سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م أستاذ الشيخ صالح الفلاني، كما أخذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب عن الشيخ إسماعيل العجلوني

---

(٦٩) أبو طامي: الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص١٦- ١٧.

(٧٠) ابن بشر: عنوان المجد في تاريخ نجد، حققه وعلق عليه عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، الطبعة الرابعة، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ج١، ص٣٥.

(٧١) الشيخ محمد بن سليمان الكردي الشافعي المدني، ولد في دمشق سنة ١١٢٥هـ/ ١٧١٢م، قدم إلى المدينة مع أبيه، وانتهت إليه رئاسة الفقه على المذهب الشافعي، وكان من العلماء المصلحين الذين اتجهوا إلى الفكر السلفي، وظل على ذلك حتى وفاته سنة ١١٩٤هـ/ ١٧٨٠م. المرادي: سلك الدرر، ج٤، ص١١١. الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١٥٢.

الجراحي(٧٢) المتوفى سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م، ونأخذ من هذه المعلومات التاريخية ما يأتي:

أ - أن المدينة المنورة كانت موئل الفكر السلفي في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري/ الثامن عشر الميلادي، فخلال تلك الحقبة التاريخية عاش الشيخ علي أفندي السندي الأثري(٧٣)، والشيخ محمد بن حياة السندي، والشيخ علي الداغستاني(٧٤)، ومحمد بن سليمان الكردي، وإسماعيل الجراحي العجلوني(٧٥).

ب - التقاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب في المدينة المنورة الشيخَ محمد بن حياة السندي، والشيخ إسماعيل العجلوني، وبما أن السندي كانت وفاته سنة ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م، والثاني توفي سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م، فتكون رحلة الشيخ محمد بن عبدالوهاب إلى المدينة قبل عام ١١٦٥هـ/ ١٧٥١م، ومن هنا فإن الشيخ صالح لم يلتق الشيخ محمد بن عبدالوهاب لوصوله إلى المدينة سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م(٧٦)، أو العام الذي يليه(٧٧)، من كل هذا نخلص إلى أن الشيخ صالح لم يلتقه، على الرغم من معاصرته للشيخ، وأخذه عن أساتذته وأقرانه في العلم.

---

(٧٢) الشيخ إسماعيل بن محمد بن عبدالهادي بن عبدالغني الشهير بالجراحي العجلوني الشافعي، ولد بعجلون في فلسطين سنة ١٠٨٧هـ/ ١٦٦٧م، حفظ القرآن، وارتحل إلى دمشق لطلب العلم سنة ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م، واشتغل بالفقه والحديث والتفسير والعربية، ورحل إلى بلدان عدة، منها المدينة المنورة ومكة المكرمة وغيرهما، توفي سنة ١١٦٢هـ/ ١٧٤٨م. العجلوني، إسماعيل بن محمد: مجموع إجازات العجلوني، مخطوط، دار الكتب المصرية، برقم ٩٧ مصطلح حديث، ورقة ١٤-١٦. البيطار: حلية البشر، ج١، ص١٦٠-١٦٢.

(٧٣) فهيم: دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز، ص٤٩٥-٤٩٧.

(٧٤) الشيخ علي بن محمود بن علي الزهري الحنفي المدني الداغستاني، رئيس علماء الحنفية بها، ولد سنة ١١٣٤هـ/ ١٧٢١ م، وتولى منصب الإفتاء في المدينة المنورة، وعزل عنه بسبب مشاكل حدثت له، وظل يدرس بالمسجد النبوي حتى وفاته سنة ١٢٠٠هـ/ ١٧٨٥م. المرادي: سلك الدرر، ج٣، ص٢٢٢.

(٧٥) أبو طامي: الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص١٦-١٧.

(٧٦) فهيم: دور مصر في الحياة العلمية في الحجاز، ص٤٩٦، وما بعدها.

(٧٧) مجهول: تراجم أعيان المدينة، ص٩٤.

ونضيف هنا: ما الذي دفع الشيخ صالح في الحقبة الأخيرة من حياته لأن يلتحق بالمدينة المنورة ويستقر فيها، ولا يستقر في مكة المكرمة، وهو العالم الأثري المجتهد؟ والإجابة من وجهة نظري أن الباعث الذي دفعه إلى الذهاب إلى المدينة المنورة هو الباعث نفسه الذي دفع الشيخ محمد بن عبدالوهاب وكل رجال هذا الفكر من المجاورين والوافدين بسبب وجود كوكبة بارزة - كما سبق أن أشرنا - في العلوم الشرعية من حديث، وفقه، وأصول، وعقيدة في المدينة المنورة، ولا سيما في الاتجاه السلفي.

ونخلص من كل ذلك إلى أن الشيخ صالح سمع عن هذا التيار الإصلاحي السلفي القوي في المدينة المنورة؛ مما دفعه إلى الرحلة إلى هناك، حيث تناسب أفكاره وجهوده وآماله، وذلك بالتحديد من وجهة نظر الباحث كان الدافع الأكبر في رحلة الشيخ صالح إلى المدينة المنورة وقراره فيها حتى الوفاة.

وأعتقد أن الشيخ صالح كان مولعاً بجمع الحديث، وأخذ السنة من علمائها، وعندما يسمع عن مشايخ عظيمي القدر في المدينة المنورة فيتوجه إليهم لعله يلقاهم، ويأخذ عنهم علومهم وأفكارهم وثقافتهم، فما إن ذهب إلى المدينة حتى كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد عاد إلى نجد، إذ كان في قمة نضوجه الفكري آنذاك؛ لأنه في سنة وصول الشاب صالح الفلاني إلى المدينة سنة ١١٨٧هـ/ ١٧٧٣م كان قد جاوز السادسة والسبعين من العمر على رأي من يقول: إنه ولد سنة ١١١١هـ/ ١٦٩٩م.

انتقال فكر الإمامين إليه:

وعلى الرغم من ذلك فإن البحث يرجح أنه قد وصل إليه فكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفي واتجاهه الإصلاحي؛ لأنه تعلم على أيدي العلماء الذين تلقى عنهم الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومنهم:

أ - تلقى الشيخ صالح العلم عن الشيخ علي الداغستاني(٧٨) أستاذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب(٧٩).

ب - تلقى الشيخ صالح العلم أيضاً على يدي الشيخ إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن سيف الفرضي الحنبلي، وهو معاصر للشيخ محمد بن عبدالوهاب وزميله ورفيق كفاحه، وهما معًا تلميذان لوالد الأخير الشيخ عبدالله بن سيف الفرضي عالم المدينة الأثري(٨٠).

ج - يضاف إلى ذلك تلقيه عن الشيخ محمد بن عبدالكريم السمان الذي أخذ علومه عن أستاذه الشيخ محمد بن سليمان الكردي، الذي كان من أساتذة الإمام محمد بن عبدالوهاب، وهو ما يؤكد أن هذه الكوكبة العلمية الفائقة كانت تتعاون جميعها من أجل غايات واحدة، هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعمل على رفع شأن العلم والعمل بالاجتهاد، ومن ثم كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب معروفًا هو وعلماء هذا الفكر كافة باتجاهاتهم الإصلاحية لشيخنا المعني بالدراسة، ولا يعقل أبدًا أن تكون دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ذائعة الصيت في نجد ومجهولة في المدينة، لا سيما عند أصحاب المنحى العلمي نفسه أمثال الشيخ صالح.

آراء العلماء فيه:

يعد الشيخ صالح من أبرز العلماء السلفيين الذين نالوا ثناءً من العلماء وكُتَّاب التراجم، فقال عنه البيطار الحنبلي(٨١): "أقبل نحو

---

(٧٨) المصدر نفسه، ص٩٤.

(٧٩) أبو طامي: الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص١٧.

(٨٠) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، ص٩٤. أبو طامي: الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص١٧.

(٨١) الشيخ عبدالرازق بن حسن بن إبراهيم بن حسن بن محمد بن حسن البيطار الحنبلي، ولد بمحلة الميدان في دمشق سنة ١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م، حفظ القرآن، وتلقى العلم على كثير من العلماء، كان حنبلياً سلفياً، ترك مصنفات مهمة، منها كتابه "حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر" وغيره، توفي سنة ١٣٣٥هـ/ ١٩١٦م. البيطار: حلية البشر، ج١، ص٩-٢٠.

الطلب، وتمسك بأذيال الأدب، فهو عالم المدينة المنورة، وفاضل البقعة الحجازية، وعمدة الأفراد والأعيان، ونخبة الأمجاد الذين يشار إليهم بالبنان، الجامع بين العلم والعمل فوق ما يتعلق به الأمل"(٨٢)، وقال عنه الشيخ منير أحمد في مقدمة كتاب "إيقاظ همم أولي الأبصار": "كان - رحمه الله - مكباً على تلقي العلوم، ومطالعة الكتب درساً وتدريساً من المهد إلى اللحد، وقد أثنى عليه الأكابر، ووصفوه بالعلم والعمل والاجتهاد، وهو ذو بصيرة ناقدة، وفكر سيال وقوة نشاط وعزيمة، يميل إلى الاجتهاد، ويحث عليه، ويكره التقليد، وينفر منه"(٨٣). وقال عنه أيضاً تلميذه عبدالرحمن بن أحمد الشنقيطي(٨٤): "شيخنا، الفقيه المحدث النحوي، البياني، العالم بجميع فنون المعقول والمنقول"(٨٥). ووصفه الشيخ عابد السندي(٨٦) قائلاً: "الإمام الذي لا يجارى، والفهامة الذي لا يمارى ملحق الأصاغر بالأكابر". كذلك قال عنه محدث الشام عبدالرحمن الكزبري(٨٧)

---

(٨٢) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٢٢-٧٢٣.

(٨٣) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، مقدمة التحقيق، ص (ر) وما بعدها.

(٨٤) الشيخ عبدالرحمن أحمد المغربي الشنقيطي، رحل إلى المدينة واستوطنها، أخذ عن شيوخها الكبار، ومنهم الشيخ تاج الدين إلياس المفتي الحنفي، درس بالحرم المدني، وأوقف كتبه في زاوية الشيخ محمد السمان، وتوفي بالمدينة المنورة سنة ١١٨١هـ/ ١٧٦٧م. الأزهري، محمد البشير المالكي: اليواقيت الثمينة في أعيان مذهب عالم المدينة، دار الآفاق العربية، القاهرة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ص١٤٧.

(٨٥) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، مقدمة التحقيق، ص (ص).

(٨٦) الشيخ محمد عابد بن أحمد بن علي بن يعقوب الأنصاري الخزرجي السندي المكي، من فقهاء الأحناف، ذكر الدكتور الهيلة أن محمد علي باشا ولاه رئاسة علماء الحجاز، له مؤلفات عدة، توفي سنة ١٢٧٥هـ/ ١٨٤٠م. إجازة الشيخ محمد عابد السندي إلى عبدالله بن محمد البجاوي المشهور بكوجك، مخطوط، دار الكتب المصرية، برقم ١٩٩٥٧ ب، ورقة ٢-٣. الهيلة، محمد الحبيب: التاريخ والمؤرخون في مكة المكرمة من القرن الثالث الهجري إلى القرن الثالث عشر، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، ١٩٩٤م، ص٤١١-٤١٣.

(٨٧) الشيخ الناسك عبدالرحمن الكزبري من علماء الشام، ولد بدمشق في حدود ١١٠٠هـ/ ١٦٨٨م، وفيها نشأ، وأخذ عن علمائها، ولازم فيها الشيخ محمد بن أحمد بن عقيلة إبان رحلته إلى دمشق، توفي بدمشق نهار الجمعة سابع عشر المحرم سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م. المرادي: سلك الدرر، ج٢، ص٣٢٩.

في ثبته: "ومن سادات أشياخي الشيخ الإمام المشهور بالإسناد العالي ذو الذهن الوقاد المتلالي"(٨٨). وأخيرًا قال عنه الشمس القاوقجي(٨٩): "كاد أن يكون مجتهدًا... وجعله صاحب عون المعبود على سنن أبي داود من المجددين على رأس المئة الثالثة عشر"(٩٠).

تحامل العلماء عليه:

وقف بعض المغاربة من الشيخ صالح موقفاً متحاملاً، إذ إنهم اعترضوا على ما كتبه كُتَّاب التراجم والمؤرخون عن الشيخ صالح واتجاهاته السلفية وذبه عن السنة، وتعرضوا لما صنفه وبخاصة في كتابيه الثبت الكبير والصغير، وعمدوا إلى إنكار شخصية الشيخ محمد بن سنة الفلاني المعمر، ومن هؤلاء المغاربة الشيخ أحمد الصديق الغماري الذي ألف في ذلك كتاباً سمّاه: "العتب الإعلاني لمن وثق صالحاً الفلاني"(٩١).

وتتلخص مآخذ الغماري على الشيخ في كثرة أساتذته وكثرة المصنفات التي رجع إليها وقرأها قراءة بحث وتحقيق، منها المختصرات والمتون، ومنها المطولات والتقارير، وبمناقشة هذه المآخذ لا نجد فيها ما يعكر صفو الشيخ، أو يضعف مكانته على الإطلاق، فأما شيخه الشيخ ابن سنة الفلاني فلا شك أن المصادر التاريخية

---

(٨٨) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، مقدمة التحقيق، ص (ص).

(٨٩) الشيخ أبو المحاسن شمس الدين محمد بن خليل بن إبراهيم القاوقجي، عالم بالحديث، ولد في طرابلس الشام، ورحل إلى مصر، فظل في الأزهر سبعًا وعشرين سنة، له من المؤلفات ما يزيد على مئة كتاب، توفي سنة ١٣٠٥هـ/ ١٨٨٨م. الزركلي: الأعلام، ج٦، ص١١٨.

(٩٠) العظيم آبادي، محمد شمس الحق: عون المعبود على شرح أبي داود، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، مج٦، ج١١، ص٢٦٦.

(٩١) الغماري، أحمد الصديق: العتب الإعلاني لمن وثق صالحاً الفلاني، مخطوط، منه صورة بحوزتي على سبيل الإهداء من صاحب الفضيلة الشيخ محمد الأمين بوخبزه المغربي من مكتبته الخاصة في تطوان، كتبه بخطه في يوم السبت الرابع والعشرين من شهر المحرم سنة ١٣٧٦هـ.

قد أكدت وجوده، وتواترت على ذلك بما يرد ادعاءات الشيخ الغماري، ومن ناحية أخرى فإن الشيخ الغماري يستبعد على ابن سِنّة الفلاني أستاذ الشيخ صالح أيضاً ثقافته الإسلامية الواسعة، وقراءته لعشرات الكتب والمصنفات، فيقول: "إن الشيخ الذي يقرئ هذه الكتب العويصة لفظاً ومعنى في سن الأربعين بعد المئة وهو سوداني الأصل والدار، مع أن السوداني لا يكاد يفهم الأجرومية وهو في مقتبل العمر وعنفوان الشباب"(٩٢)، ويسخر بعد ذلك من الشيخ ابن سِنّة الفلاني، ويشبهه بالخضر عليه السلام لطول العمر، فيقول: "وأظن لو كان الخضر - عليه السلام - سوداني الأصل من بلد فلاّنة لما استطاع أن يقرئ الشيخ صالح الفلاني هذه الكتب"(٩٣).

والواضح أن هذا الاعتراض قائم على غير أساس؛ لأن الغماري يعتقد أن الشيخ صالح مثل أستاذه بعيدًا عن اللغة العربية هو الآخر، ومما يضعف من وجهة النظر هذه أيضاً تلك اللغة العربية الرصينة التي ألف بها الشيخ صالح مؤلفاته، وأسلوبها المتميز يؤكد أنه مثال طيب على كفايته في اللغة العربية، وهي لغة العلم التي يتعلم بها المسلمون في البلاد التي تستوطنها القبيلة الفلانية التي ينتمي إليها الشيخ صالح والشيخ ابن سنة، وربما يعود تحامل الشيخ الغماري على الشيخ صالح الفلاني وأستاذه إلى عدم فهمه للظروف التعليمية للقرن الثاني عشر الهجري؛ وذلك لأن علماء هذا القرن كانوا من الموسوعيين في مختلف ميادين الفنون والعلوم الإسلامية، والعربية، والعقلية، والطبيعية، وهي سمة غالبة على علماء الحجاز والعالم الإسلامي خلال هذا العصر، وبخاصة أنه قد ظهر من القبيلة الفلانية مجموعة من العلماء على جانب كبير من العلم والثقافة الإسلامية التي تؤكد أن علماء الإسلام في كل مكان من العالم

---

(٩٢) المصدر نفسه، ص١٧-١٨.

(٩٣) المصدر نفسه، ص١٨.

الإسلامي يقومون بدورهم في نشر الدين الإسلامي، والحفاظ على تراثه، وليس في السودان وحسب، وهو ما يجعلنا نوثق شيخنا المعني بهذه الدراسة، لا سيما أن معظم مناقشات الشيخ الغماري ما هي إلا مناقشات عقلية فلسفية جامدة تبعد كثيراً عن روح العلم والنقد الجاد الذي كان يسعى إليه الشيخ صالح، ويعد أبرز جهوده.

جهوده وآثاره العلمية:

ترك الشيخ صالح الفلاني تراثًا علميًا غاية في التمكن، وعلى درجة كبيرة من الأهمية، وذلك بسبب المنحى العلمي الذي اتجه إليه، ولما تركه من آثار علمية عالية القيمة والشأن، فقد كان محدثاً، مجتهدًا، فقيهًا، نحويًا، بلاغيًا، أديبًا(٩٤)، تحدث عن الاجتهاد والتقليد، وناقش المقلدين، ورد عليهم، واستشهد بكلام السلفيين القدامى، مثل: الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب الفقهية المشهورة، لا سيما الإمام أحمد بن حنبل، حتى وصل إلى الشيخ القرافي(٩٥)، والشيخ محمد بن حياة السندي(٩٦)، والشيخ السنهوري(٩٧)، والشيخ محمد الخرشي(٩٨). كذلك فقد ردَّ في مصنفاته بعض الشبهات التي أوردها المقلدون، وضعّف حجتهم، وأورد أدلة قوية من الكتاب الكريم، والسنة الشريفة، وآراء كبار الفقهاء المسلمين التي تؤيد موقف

---

(٩٤) البيطار: حلية البشر، ج٢، ص٧٢٢.

(٩٥) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، ص١٠٤.

(٩٦) الفلاني: قطف الثمر، الورقات ٩-١١.

(٩٧) نور الدين علي بن عبدالله بن علي السنهوري الأزهري، من فقهاء المالكية بمصر، ألف مصنفات عدة، أهمها شرحه على مختصر خليل في فقه المالكية، توفي سنة ٨٨٩هـ/ ١٤٨٤م. السخاوي، شمس الدين محمد، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، القاهرة، ٢٠٠٠م، ج٢، ص٢٤٩.

(٩٨) الإمام العلامة محمد بن عبدالله الخرشي المالكي الدمنهوري، المعروف بالشيخ محمد شارح خليل، أخذ العلم عن والده الشيخ عبدالله، وعن الشيخ برهان الدين اللقاني، توفي سنة ١١٠١هـ/ ١٦٨٩م. الجبرتي: عجائب الآثار، ج١، ص١١٣-١١٤. مخلوف، محمد بن محمد: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، ١٣٢٩هـ، ص٣١٧.

الإسلام من هذه القضايا الفكرية والدينية(٩٩)، وهكذا فإن كتابه "إيقاظ همم أولي الأبصار" يحتاج إلى إعادة نشره في طبعة جيدة على أن يتم تخريج الأحاديث، وعزوها إلى مصادرها حتى تتم الإفادة من هذا المصنف المهم. وتتمثل جهوده وآثاره العلمية فيما تركه من مؤلفات، وما ظهر من جهوده السلفية الكبيرة التي طرحها وانتشرت في المدينة المنورة خلال هذه الحقبة التاريخية المهمة.

مؤلفاته:

ترك الشيخ صالح مؤلفات غاية في بابها، منها:

١ - "إيقاظ همم أولي الأبصار للاقتداء بسيد المهاجرين والأنصار وتحذيرهم عن الابتداع الشائع في القرى والأمصار من تقليد المذاهب مع الحمية والعصبية بين فقهاء الأعصار"(١٠٠)، وهو بلا شك أهم مصنفاته؛ إذ أورد فيه أغلب آرائه السلفية بما يمكن أن تكون منهاجًا مستمدًا من الكتاب والسنة، وآراء السابقين من السلف الصالح(١٠١)، وقد أوضح فيه المراد بالتقليد في كلام العلماء، وتحدث عن عمل الفقهاء المقلدين إذا وقفوا على ضعف مذهب إمامهم(١٠٢)، ونص على ما ذكره الإمام أحمد بن حنبل ناصر السنة، وما لأصحابه من الحض على العمل بالكتاب المنزل والسنة(١٠٣). وسجل الشيخ صالح خمسة وخمسين سؤالاً في هذا الكتاب إلى كل مقلد يظهر منها حنقه ممن يحرم نفسه نعمة التفكر في دين الله، والأخذ بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة وهما أصل الدين، ويتجه إلى تقليد واحد من العلماء

---

(٩٩) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، ص١٢١، ١٥٦.

(١٠٠) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩، ص٤٣. الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٩٥.

(١٠١) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، ص٧١.

(١٠٢) المصدر نفسه، ص١١٤.

(١٠٣) المصدر نفسه، ص١١٣ وما بعدها.

السابقين، على الرغم من أنه يخطئ ويصيب، ويأخذ دينه زاعماً على الله بغير علم، على الرغم من عدم علمه بالمذاهب وراجحها ومرجوحها، ويسخر من هؤلاء قائلاً: "فما للأعمى ونقد الدراهم"(١٠٤)، وغيرها من الموضوعات المهمة(١٠٥)، التي يحسن أن يطلع عليها الفقهاء في العصر الحالي.

٢ - الثبت الكبير المسمى "الثمار اليانع في رفع طرق المسلسلات، والمسانيد، والأجزاء والجوامع، وذكر طرق التصوف وما لها من التوابع" أو "إحياء رسوم الأسانيد العالية بعد اندراسها، أو توثيق عرى المسلسلات السامية بعد انقطاعها وإيضاح الطرق الهادية بعد خفاء إعلامها"(١٠٦)، ويقول عنه الشيخ أحمد منير: "ذكر في طالعته أنه رتبه على ثلاثة أقسام، وأنه يذكر في طالعته مشايخه، وما سمعه من كل واحد منهم، ثم سابقة مشتملة على ذكر شيء من فضائل علو الإسناد، ثم القسم الأول في أسانيد المصنفات الحديثية، والقرآنية، وما تبعها من كتب الأصول، والعقائد، والفقه، والثاني في المسلسلات، والثالث في أسانيد كتب العربية، وما عداها من كتب العلوم العقلية، والنقلية، ثم ذيل الأقسام الثلاثة بلاحقة تشتمل على طرق الصوفية، ثم سند التلقين من كل طريق، وفي آخره بعض وصايا الأنبياء، والعلماء، والحكماء"(١٠٧).

٣ - الثبت الصغير، ويسمى "قطف الثمر في أسانيد كتب الأثر" في نحو ثمان وعشرين ورقة، وهو من أشهر الأثبات، وأنفعها وأعلاها إسنادًا(١٠٨).

---

(١٠٤) المصدر نفسه، ص١٢١ وما بعدها.

(١٠٥) المصدر نفسه، ص١٢٤-١٢٥.

(١٠٦) المصدر نفسه، مقدمة التحقيق، ص (ص). الكتاني، فهرس الفهارس، ج١، ص٢٠٩.

(١٠٧) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، مقدمة التحقيق، ص١.

(١٠٨) البغدادي: إيضاح المكنون، ج٢، ص٢٣٦. الزركلي، الأعلام، ج٣، ص١٩٧.

٤ - "تحفة الأكياس بأجوبة الإمام خير الدين إلياس"، يعني به خير الدين إلياس المفتي في المدينة المنورة ومن أشهر علمائها، وهي نظم أسئلة السيوطي في ألف باب، وغير ذلك، وهي علوم العربية وتحديدًا في علم اللغة واللغويات من نحو وصرف.

٥ - "تقويم الكفة فيما للعلماء من حديث الجبة والكفة"، وهذا الكتاب مفقود.

٦ - "جمع الأحاديث القدسية".

٧ - "ما ورد في تحريم الخمر"، وهو مفقود.

٨ - "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"، وهو مفقود أيضا.

٩ - "الأجوبة المعربة عما استعجم من الأسئلة في حروف المعجم"(١٠٩)، في علم اللغة.

ومن خلال المصنفات التي أوردناها يتضح أن الشيخ صالح كان عالماً جاداً من علماء عصره الكبار، ألف في العلوم الإسلامية، مثل: الفقه والأصول والحديث، ثم كانت له مصنفات في علم اللغة العربية غير أن أكثر جهوده كانت الجهود السلفية، وهو ما يدعونا إلى إلقاء الضوء في تلك الجهود تحت العنوان الآتي.

الجهود السلفية:

وتبرز جهود الشيخ صالح الفلاني السلفية من خلال القضايا التي طرحها، ودعا إليها، ودافع من أجلها، وتتمثل في احترام النصوص الإسلامية والوقوف عند القرآن والسنة ونبذ التقليد، والدعوة إلى الاجتهاد والتحذير من البدع والخرافات التي علقت بالدين في ذلك العصر، وكذلك قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما برزت جهوده السلفية أيضا في موقفه الواضح من التصوف، وحملته على مدعيه، وكان منهجه العلمي الذي سلكه من أهم الجهود التي تبرز

---

(١٠٩) البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٢٤٢. إيضاح المكنون، ج٢، ص٤٢١.

دوره بصورة ملفتة للنظر كواحد من أهم علماء الاتجاه السلفي في المدينة المنورة في ميدان دقة النقل، وتخريج النصوص، فضلا عن صفتي الورع والتواضع اللتين غلبتا على شخصيته العلمية؛ مما جعله يتبوأ مكانا بارزاً بين علماء المدينة المنورة في مطلع القرن الثالث عشر الهجري.

كذلك فقد حمل على علماء عصره وبخاصة النظاميون منهم حملة شديدة؛ لما رأى من تصرفاتهم - وهم أصحاب الوظائف العلمية والقضائية - حيث لا تتفق هذه التصرفات مع مهابة مناصبهم الرفيعة، مثل: القضاة والمفتين. ولأهمية جهود الشيخ صالح في الميدان السلفي نعرض في إيجاز وتركيز أهم هذه الجهود، والتي تتمثل فيما يأتي:

١ - الوقوف عند النصوص الشرعية في الالتزام بالكتاب والسنة:

دعا الشيخ صالح إلى الوقوف عند النصوص الشرعية الأصلية؛ وذلك لأن أصل الحكم الشرعي عنده الوقوف عند الدليل؛ لذلك لم يكن يقدم على الكتاب والسنة قولا لأحد مهما كان، وينقل في ذلك نصوصًا من الآثار مما يشفي غلة المستفيد، وهنا نكتفي بذكر بعضها كأمثلة، منها: قول الشافعي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "من تبع سنة رسول الله ﷺ وافقته، ومن غلط فتركها خالفته، صاحبي الذي لا أفارقه اللازم الثابت مع رسول الله ﷺ وإن بعُد، والذي أفارقه من لم يقل بحديث رسول الله ﷺ وإن قرُب". كذلك كان يردد قول الشافعي: "إذا صح الحديث فهو مذهبي"(١١٠).

كما يروي الشيخ صالح قول الشعراني أيضاً (٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م) في الاتباع والتزام الكتاب والسنة: "إذا صح الحديث فهو مذهبنا، وليس لأحد قياس ولا حجة إلا طاعة الله تعالى ورسوله ﷺ"(١١١)، كذلك

---

(١١٠) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، ص١٠٧.

(١١١) المصدر نفسه، ص١١٢.

كانت له آراء مهمة وأقوال مأثورة حول قضية الوقوف عند النصوص الشرعية، ومدى التزام المسلمين بالكتاب والسنة، ومن هذه الآراء التي وردت في مصنفات الشيخ صالح عن هذا الموضوع المهم (الحث على الالتزام بالكتاب والسنة) قوله: "معظم الناس خاسرون، وأقلهم رابحون، فمن أراد أن ينظر في خسره وربحه فليعرض نفسه على الكتاب والسنة، فإذا وافقها فهو الرابح، وإن كذب ظنه فيا حسرة عليه"(١١٢).

٢ - نبذ التقليد:

كان الشيخ صالح يرفض التقليد أيضاً، ويراه مضيعة للعلم، وإبطالاً لمنفعة العقل، فيقول: "إن المقلد على غير ثقة فيما قلده؛ لأن العقل خلق للتأمل والتدبر"؛ لذا كان يسخر ممن يلتزم هذا المنهج قائلاً: "قبيح بمن أعطي شمعة يستضيء بها أن يطفئها، ويمشي في الظلمة"(١١٣).

كما كان يرى في التقليد نوعًا من الجمود المذموم، وكان يتعجب ممن يفعل ذلك من علماء عصره من الفقهاء مع علمه بضعف مذهب إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعًا وهو مع ذلك يقلده فيه، ويترك الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة التزامًا بتقليد إمامه، ليس هذا وحسب، بل يتحيل لدفع ظواهر الكتاب والسنة بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالا عمن يتبعه من الأئمة(١١٤).

وكان يضيق بمناقشاتهم التي لا تأتي بطائل، ويحذر من الدخول معهم في جدل عقيم، حيث كان يرى أن البحث مع هؤلاء ضائع مفض إلى التقاطع والتدابر من غير فائدة بسبب الإصرار على عدم عودتهم إلى الحق بعد المناقشة، فيقول: "وما رأيت أحدا رجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره، بل يصر عليه مع علمه بضعفه وبعده، وكان يرى أن الأولى ترك البحث مع هؤلاء الذين إذا عجز

---

(١١٢) المصدر نفسه، ص١١١.

(١١٣) المصدر نفسه، ص١١٣.

(١١٤) المصدر نفسه، ص١٠٩.

أحدهم عن تمشية مذهب إمامه، قال: لعل إمامي وقف على دليل لم أقف عليه، ولم أهتد إليه، ولا يعلم المسكين أن هذا مقابل بمثله، فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره"(١١٥).

وكان الشيخ صالح يتعجب من شيوع المذهبية، وارتضاء العلماء لها، والتعصب لأجلها حتى وصل الأمر - على ما يقول الشيخ صالح ذاته - إلى أن الحنفية يرون أن من انتقل من الحنفية إلى الشافعية يعزر [كذا](١١٦). وهو ما كان يعده شيخنا من أعقد المشكلات بين علماء المدينة في ذلك العصر.

٣ - الاجتهاد:

الاجتهاد في اصطلاح علماء الأصول بذل الفقيه وسعه في استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية(١١٧)، كما أنه استفراغ الجهد، وبذل غاية الوسع؛ إما في استنباط الأحكام الشرعية، وإما في تطبيقها، ولأن للمجتهد شروطاً(١١٨) اتجه بعض العلماء في العصور الباكرة ومنذ القرن الرابع إلى إغلاق باب الاجتهاد، وهو ما رآه الشيخ إفراغاً للفقه الإسلامي والأحكام الشرعية من حجتها ومضمونها؛ لذلك تضافرت أقوالهم على أنه لا يجوز أن يخلو عصر من مجتهد، وقد نقل ابن القيم عن هؤلاء: "هم الذين قال النبي ﷺ فيهم: إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها؛ لذلك كانوا يرون أن باب الاجتهاد مفتوح، ولم يقرروا ذلك وحسب، بل أوجبوا ألا يخلو عصر من المجتهدين"(١١٩).

---

(١١٥) المصدر نفسه، ص١١٠.

(١١٦) المصدر نفسه، ص٥٤.

(١١٧) أبو زهرة، الشيخ محمد: أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٨م، ص٣٥٦.

(١١٨) المرجع نفسه، ص٣٥٨ وما بعدها.

(١١٩) المرجع نفسه، ص٣٦٨. الحسيني، عبدالفتاح: فقه العبادات، معهد الدراسات الإسلامية، القاهرة، ١٩٩٩م، ص١٤٦.

ويتفق الشيخ صالح مع علماء السلف على أن الاجتهاد ضرورة من ضرورات كل عصر من أجل صالح الأمة، والمجتهد المصيب عنده من لم يناقض اجتهادَه نصٌّ الكتاب والسنة؛ لذلك فإن الاجتهاد مبني عند الشيخ صالح على أصول خمسة، مثلما كان الأمر عند جميع العلماء السابقين عليه والمعاصرين له، وهي:

أ - النصوص الشرعية:

فإذا وجد النص من الكتاب والسنة أفتى بموجبه، ولم يلتفت إلى ما خالفه، ولا من خالفه كائنًا من كان(١٢٠).

ب - ما أفتى به الصحابة:

وذلك إذا وجد لبعضهم فتوى لا يعرف مخالفًا له فيها لم يعدها إلى غيرها، ولم يقل: إن ذلك إجماع، بل من ورعه في العبارة يقول: "لا أعلم شيئًا يدفعه"(١٢١).

ج - عند اختلاف الصحابة:

فإذا اختلف الصحابة تخير من أقوالهم ما كان أقربها إلى الكتاب والسنة، ولم يخرج عن أقوالهم، فإذا لم يتبين له موافقة أحد الأقوال حكى الخلاف فيها، ولم يرجح قولاً منها، وهو النهج السائد عند علماء السلف؛ لأنه من الورع.

د - الأخذ بالمرسل والضعيف:

وفي تعريف موجز للحديث المرسل عند الأصوليين والمحدثين ما رواه التابعي سواءً أكان كبيراً أم صغيراً عن رسول الله ﷺ من قوله أو فعله أو تقريره، وسمعه التابعي من غير النبي ﷺ، وأما الحديث الضعيف فهو كل حديث لم تجتمع فيه صفات الحديث الصحيح ولا صفات

---

(١٢٠) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، ص١١٥.

(١٢١) المصدر نفسه، ص١١٦.

الحديث الحسن(١٢٢) وشروطهما(١٢٣). وقد أخذ الشيخ صالح بالمرسل والضعيف، وذلك إذا لم يكن في الباب شيء يرده فإنه يرجحه على القياس، وهو في كل ذلك يوافق الإمام أحمد بن حنبل والإمام ابن تيمية وابن القيم وغيرهم من علماء السنة(١٢٤).

٤ - موقفه من البدع والأهواء:

اتخذ الشيخ صالح موقفاً قوياً إزاء أهل البدع والأهواء، وكان يراهم من أهل الضلال، ويروي في ذلك عن ابن مسعود زاجرا لهم، وداعيا غيرهم إلى الإعراض عنهم قائلاً: "ستجدون أقواما يدعونكم إلى كتاب الله، وقد نبذوه وراء ظهورهم، فعليكم بالعلم، وإياكم والبدع، وإياكم والتنطع، وعليكم بالعنق"(١٢٥).

وبذلك نجده يأخذ من أهل البدع موقفاً واضحاً، إذ عدهم من أهل الضلال، فقال في ذلك: "أهل البدع أجمع أعرضوا عن السنن، وتأولوا الكتاب على غير ما بينته السنة، فضلوا وأضلوا، فأعوذ بالله من الخذلان"(١٢٦). وبعد هذا العرض يتضح موقف الشيخ من هذا الموضوع.

٥ - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

من القضايا المهمة ذات الشأن عند علماء السلف قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والذي يراجع كتاب الشيخ صالح "إيقاظ

---

(١٢٢) شروط الحديث الصحيح والحسن هي: اتصال السند، عدالة الرواة، والضبط، والسلامة من الشذوذ والعلة، وأخيراً مجيء الحديث من وجه آخر، واختلال شرط من هذه الشروط يضعف الحديث. أبو شهبة: المدخل في علم الحديث، ص٢٧٦.

(١٢٣) المرجع نفسه، ص١١٧.

(١٢٤) المرجع نفسه، ص٤٩.

(١٢٥) العنق: هو وصلة ما بين الرأس والجسد يذكر ويؤنث، وهو الرقبة وهو الوسط، ومنه السير الوسط. ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، د. ت، ج٤، ص٣١٣٣.

(١٢٦) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، ص٤٨.

الهمم" يجده مملوءًا بالكثير من الأمثلة على منهجه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(١٢٧).

وقد أفرد لهذا الموضوع كتابًا مفقودًا سمَّاه: "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر"(١٢٨)، وربما أوفى هذا الموضوع حقه في الكتاب الذي لم يصل إلى أيدينا بعد.

موقف الشيخ صالح من التصوف:

كان للشيخ صالح في التصوف رأي واضح تظهر فيه عقيدته السلفية، ويتلخص في محاربته لأهل البدع والخرافات الذين انحرفوا بالدين عن أهدافه النبيلة، وقد نقل في ذلك نصوصًا مهمة عن بعض العلماء في العصور الإسلامية المتقدمة، لكن العجيب فعلاً أن الشيخ صالح يستدل بآراء علماء التصوف المشهورين على محاربته للتصوف، ويظهر من خلال هذه الآراء أن المتصوفة والمعاصرين قد خرجوا عن القيم والثوابت، ويوضح لهم أن الطريق واحد، والعلم التزام بالكتاب والسنة ومجالسة الفقهاء والتلقي عن العلماء ويورد في ذلك رأي الجنيد رحمه الله: "الطرق كلها مسدودة إلا على من اقتفى أثر الرسول ﷺ، وقال: علمنا مقيد بالكتاب والسنة، فمن لم يسمع الحديث، ويجالس الفقهاء، ويأخذ عن المتأدبين أفسد من يتبعه"(١٢٩). كما ينقل الشيخ صالح أيضا عن سهل بن عبدالله التستري - رحمه الله - (٢٨٣هـ/ ٨٩٦م): "بنيت أصولنا على ستة أشياء: كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأكل الحلال، وكف الأذى، واجتناب الآثام، وأداء الحقوق"(١٣٠).

العلم التزام بالكتاب والسنة ومجالسة الفقهاء والتلقي مباشرة عن العلماء

---

(١٢٧) المصدر نفسه، ص٩٨.

(١٢٨) البغدادي: إيضاح المكنون، ج٢، ص٤٢١.

(١٢٩) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، ص١٤٤.

(١٣٠) المصدر نفسه، ص٩١.

وكان يردد قول أحمد بن حصرويه أيضًا في رده على مدعي التصوف وأفكارهم: "الدليل لائح، والطريق واضح، والداعي قد أسمع، فما التحير بعد هذا إلا من العمى"(١٣١). وقام الشيخ صالح بالرد على من اتخذ التصوف ستارًا لكسب المنافع، والتقرب لأهداف غير دينية ممن ابتعدوا عن المنهج الإسلامي، وادعوا أنهم أصحاب كرامات ترفعهم إلى الله عز وجل، وتميزهم عن سواهم، فقال عنهم: "فأولئك أهل الخسران، وتتفاوت خفتهم في الميزان، فإذا رأيت إنسانًا يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، أو يخبر عن المغيبات، ثم يخالف الشرع بارتكاب المحرمات بغير سبب محلل، ويترك الواجبات بغير سبب مجوز، فاعلم أنه شيطان نصبه الله فتنة للجهلة، وليس ذلك بعيدًا عن الأسباب التي وضعها الله تعالى للضلال؛ فإن الدجال يحيي ويميت فتنة لأهل الضلال"(١٣٢). وبذلك تظهر رؤية الشيخ صالح في رفضه لانحرافات المدعين الذين لم يمتثلوا الكتاب والسنة في عقيدتهم وعبادتهم.

وعلى الرغم من هذا الموقف القوي للشيخ صالح من التصوف فإنه لم يتحدث عن قضايا أخرى في غاية الأهمية في موضوع التصوف، مثل: التوسل، والبناء على القبور، وزيارة الأضرحة، وغيرها من الموضوعات التي يتحدث فيها عادة أصحاب الفكر السلفي(١٣٣). وربما كان ذلك بسبب أن كل مؤلفاته لم تصل إلينا، أو لشيوع التصوف في بلاد المغرب والسودان؛ مما جعله يعرض عن ذكر مثل هذه الموضوعات الصوفية البحتة.

ومن الجدير بالذكر أن الشيخ صالح في عرض موقفه من قضية المدعين من المتصوفة نراه يعطي الأمثلة على مهاجمتهم من أصحاب الاتجاه الصوفي أنفسهم، مثل: الشيخ عبدالوهاب الشعراني

---

(١٣١) المصدر نفسه، ص١٤٦.

(١٣٢) المصدر نفسه، ص١١١.

(١٣٣) أبو طامي: الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ص٤٣.

(٩٧٣هـ/ ١٥٦٥م)، والشيخ عبدالله بن سهل التستري، والجنيد، وغير هؤلاء المشايخ بما يؤكد قضية في غاية الأهمية، ألا وهي مدى ما وصل إليه المتصوفة والدراويش من تصرفات خارجة، وأخلاقيات سيئة في ذلك العصر في المدينة المنورة، وهو بذلك يقيم الحجة على المتصوفة من رجال المدينة المنورة في القرن الثاني عشر الهجري.

سمات منهجه العلمي:

نشأ الشيخ صالح الفلاني نشأة فقهية على المذهب المالكي(١٣٤)، نشأته في ذلك مثل أغلب علماء بلاد المغرب، حيث كان المذهب المالكي هو السائد والشائع في ربوع تلك الأقاليم، بل كان من النادر أن يغيّر واحد من علماء المغرب مذهبه، وبخاصة أن العطايا والجرايات لا يحصل عليها إلا من كان مالكي المذهب، وذلك ما تؤكده وثائق العصر العثماني، وكان أصحاب الأوقاف والصدقات يتشددون في تنفيذ صرف العطايا بكل دقة(١٣٥).

وأما أبرز سمات منهج الشيخ صالح العلمي فتتمثل في: التثبت، والدقة في النقل، والأمانة في احترام النصوص، واتخاذه مصادر أصلية أساسها الكتاب، وأصح كتب الحديث، فقد كان ملتزما بمنهج المحدثين في كل ذلك، فيقوم بتخريج الأحاديث، وينسبها إلى رواتها(١٣٦). كذلك ينسب الآراء إلى أصحابها، حتى إنه يتخذ المنهج نفسه في إسناد الشعر إلى قائليه بدقة وبراعة تحسب له بما يؤكد أيضا سعة ثقافته، ولا تجد في كتابه "إيقاظ همم أولي الأبصار"(١٣٧) بيتاً لم ينسب إلى صاحبه إلا نادراً(١٣٨).

---

(١٣٤) بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ج٩، ص٤٢.

(١٣٥) وثيقة وقف والدة السلاطين العظام، دار الوثائق القومية، حجة شرعية رقم ٣٢٨٠ تاريخ، ورقة ٥-٧.

(١٣٦) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، ص١٤٢، ١٥٦. قطف الثمر، ورقات ٧-٩، ١٥ وما بعدها.

(١٣٧) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، ص١١٢.

(١٣٨) المصدر نفسه، ص٣٧، ٦٢، ٧٥.

ويتضح منهجه العلمي وأهميته عندما يتحدث مبينًا منهجه هذا في قوله: "واعلم أيها الناظر فيما جمعناه أن جميع ما ذكرناه من الآثار من أول المقدمة إلى آخرها كلها مروي بأسانيد جياد حذفناها اختصارًا، وجلها لحافظ المغرب أبي عمرو بن عبدالبر من كتاب العلم، والتمهيد، والاستذكار، والاستيعاب كلها له، وما عداه فمن كلام حافظ المشرق أبي بكر البيهقي، وقليل نقلته من سنده عن علامة المجتهدين محمد بن إدريس الشافعي، والله الموفق للصواب"(١٣٩). حيث نرى دقة علمية واضحة في ذكر من ينقل عنهم؛ تقديرًا للرواية، وحفظًا للآثار والتراث، على خلاف سواه من معاصريه. وهذا من أهم مزايا منهجه العلمي، وتزداد أمانته في النقل وضوحًا عند إيراده الروايات التاريخية، فيقول في بعض المواضع: "من تذكرة الشيخ عيسي الثعالبي، الجعفري، الجزائري"(١٤٠)، كما يقول: "قلت: وقد نقل الأجهوري، والخرشي، هذا الكلام وأقراه في شرحهما على مختصر خليل"(١٤١).

كذلك كان يكثر في نهاية كل قضية من قوله: "إنا لله وإنا إليه راجعون"(١٤٢)، كما كان أيضًا يكثر من قوله: "والله أعلم"(١٤٣)، وذلك إذا أورد رأيًا خاصًا لنفسه.

ويتجلى منهجه أيضًا في دعوته لحفظ الأصول، والعناية بها، واستخراج الأحكام المنصوصة من القرآن الكريم والسنة النبوية المشرفة وغيرها، وتفسير المبهم دون تقليد لا يصل المسلم به إلى

---

(١٣٩) المصدر نفسه، ص٥٠.

(١٤٠) الشيخ أبو مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري، الجزائري الأصل، توفي سنة ١٠٨٠هـ/ ١٦٥٩م، له مؤلفات منها مقاليد الأسانيد في أسانيد عيسى الثعالبي، وغيرها. الكتاني: فهرس الفهارس، ج٢، ص١٩٠-١٩٢.

(١٤١) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، ص٥٦.

(١٤٢) المصدر نفسه، ص١٠٤.

(١٤٣) المصدر نفسه، ص٥٧، ٦٣.

شيء، بل بالاقتداء بالسلف في الاجتهاد، والتفهم، والنظر، والتباحث، والتدبر حتى يبرأ الإنسان من الوقوع في براثن الزلل؛ لأن التمسك بأصول الدين هو المخرج الذي يعيد المسلمين إلى الأمة الواحدة - كما يرى الشيخ صالح - ويرى أيضاً أنه على المسلم أن لا يرى في معارضة السنن مزية ولا فضيلة، ولا يعمل عقله فيما فيه نص شرعي؛ لأن نظر الإنسان قاصر.

ويعتقد الشيخ صالح أن من أبرز أخطاء علماء المدينة والعالم الإسلامي من معاصريه هو إقحام أنفسهم في الفتوى بلا دليل ولا سند شرعي؛ مما يعده أشد عمى، وأضل سبيلا، ثم يعقب قائلاً:

لقد أسمعت لو ناديت حيًا   ولكن لا حياة لمن تنادي(١٤٤)

مصادره الأصلية:

ومن الأهمية أيضًا أن نعرض أبرز المصادر التي رجع إليها الشيخ صالح، وتتمثل في القرآن الكريم، وقدرته على استنباط الأحكام الشرعية منه، ثم كتب كبار المحدثين؛ ليعطي صورة واضحة على منهجه ومنحاه العلمي، فنجد أن مصادره كانت أهم كتب الحديث، وهو ما يؤكد منحاه السلفي، والواضح أنه كان ينتقي مصادره الأصلية، فيختار كتاب الإمام الصنعاني "سبل السلام"، ومصنفات ابن القيم مثل: "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، و"جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام"، وهو ما يرجع أهمية مصادره التي استقى منها مادته العلمية، حيث أخذ الحديث في الأساس عن كتب البخاري، ومسلم، والبيهقي، وابن أبي حاتم، وأحمد، والنسائي، والترمذي، وابن ماجه، ومالك في "الموطأ"، وأبي داود، وابن حبان، والحاكم، والدارقطني، والطبراني في "المعجم الكبير"، والحافظ ابن

---

(١٤٤) المصدر نفسه، ص٨٣.

حجر العسقلاني في "التلخيص"، وسنن الدارمي(١٤٥)، هذا بالإضافة إلى الكثير من المصادر الفقهية والحديثية التي تنتمي إلى الفكر الإسلامي وكبار علمائه في العصور السابقة عليه.

رأيه في معاصريه:

وأما رأيه في معاصريه فيتضح جليا في مصنفاته، حيث أنكر عليهم مواقفهم المتخاذلة التي رآها مغايرة لسلوك العلماء المستقيم، وللأمانة التي يحملون مسؤوليتها؛ لذلك كان يعترض على العلماء المنتمين سياسيا للدولة العثمانية، ويقول عنهم: "وأما علماء الوقت الذي صار فيه المنكر معروفًا، والمعروف منكرًا، فالقضاء والفتوى عندهم بلبس الكوربان الغراء، ورحم الله القائل:

فرِّغ القلب عن مسائل نحو واشتغلْ بالرطانة التركية
والبس الكوربان والفرو تفقه ذهب اليوم دولة العربية
وبفقه أبي حنيفة فاقرأ ذهب اليوم دولة الأثرية"(١٤٦)

ساءته الأحوال العلمية، وما صارت إليه في المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري

وقد ساءته الأحوال العلمية، وما صارت إليه في المدينة المنورة خلال القرن الثاني عشر الهجري والذي يليه من ضعف واضح في الأوضاع العلمية التي تغيرت إلى الأسوأ، ورآه على طلاب العلم ورجاله حينما سلكوا ما لم يعرفه الأئمة حينما ارتضوا الجهل، فقصروا عن مراتب العلماء، وأخذ على المحدثين من معاصريه روايتهم الحديث، وسماعهم بلا فهم، ولا وعي؛ فجمعوا في ذلك بين الغث والثمين، والصحيح والسقيم، والحق والكذب في كتاب واحد، ولم يكونوا كعلماء السلف الذين عقلوا ما تعلموه، فأفادوا وأضافوا؛

---

(١٤٥) المصدر نفسه، ص١٠١، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٧، ١٣٩، ١٦٠ وغيرها. قطف الثمر، ورقات ٣، ٦، ٨، ٩، ١١، ٢٤، ٢٦.

(١٤٦) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، ص٩٦.

ويرجع السبب في هذا الضعف إلى أنهم قد شغلوا أنفسهم بالاستكتاب عن التدبر والاعتبار، "فألسنتهم تروي العلم وقلوبهم خلت من الفهم، وغاية معرفة أحدهم معرفة الكتب الغريبة والحديث المنكر"(١٤٧)، وهو ما يعطي سببًا لثورته العلمية، وتحامله على هذه النوعية من علماء عصره، ومحاولة ردهم إلى الفكر السلفي الأصيل بدلاً من تلك القضايا التي لا تجدي نفعًا، وبخاصة تلك التي تصدر من العلماء النظاميين للدولة العثمانية؛ مما جعله يضمن في مصنفاته الكثير من شروط وظيفتي الإفتاء والقضاء(١٤٨) وغيرهما من الوظائف العلمية والدينية، وما يجب أن يكون عليه صاحب هذه الوظائف من دين وأخلاق.

رأيه في المتون:

ومن أهم سمات منهجه العلمي رفضه القاطع التأليف في المتون؛ لاعتقاده أنها اختصار مخل يفسد ولا يصلح، ومن ثم فإنه لا يحب تدريسها، ولا يحبذ تحفيظها للصبيان ولا غيرهم، فيقول في ذلك: "قد فهمنا أن الاشتغال بالكتب المختصرات، والمعقدات ليس يجدي نفعًا، وإنما هو جهل مركب"(١٤٩).

ويعرج بعد ذلك إلى إيراد رأيه في المتون المتخصصة في علوم الفقه على المذاهب الأربعة وغيرها من المذاهب الفقهية الأخرى، وما عليها من سلبيات، وكيف تؤدي هذه المتون بما فيها من آراء وقيود إلى الحمية والتعصب، فيقول: "فما بالك برأي أهل القرن الثالث عشر الهجري الذين جعلوا دينهم الحمية والعصبية، وانحصروا على طوائف؛ فطائفة خليليون(١٥٠)، ادعوا أن ما أنزل على محمد ﷺ محصور في مختصر خليل، وأنزلوه منزلة كتاب الله العزيز الجليل،

---

(١٤٧) المصدر نفسه، ص٨٠-٨١.

(١٤٨) المصدر نفسه، ص١٠٨.

(١٤٩) المصدر نفسه، ص٨٧.

(١٥٠) نسبة إلى الشيخ خليل أحد علماء المذهب المالكي. حاجي خليفة: كشف الظنون، ج٢، ص١٦٢٨.

فصاروا يتبعون مفهومه ومنطوقه، كل دقيق فيه وجليل، وطائفة كنزيون أو دريون(١٥١) ادعوا أن ما في هذين هو العلم، فالعمدة على ما في الأسعدية والخيرية(١٥٢)، وكان يطغى عليهم اعتقادهم أن العمل بما في هذه المصنفات مقدم على ما نزل به جبريل على خير البرية عليه الصلوات والتسليمات وعلى من تبعهم - يقصد القرآن الكريم - وطائفة منهم منهجيون أو منهاجيون(١٥٣)، فيبحثون عن منطوقها ومفهومها، وبما فيها يتعبدون، فإنا لله وإنا له راجعون"(١٥٤)، وهو يشير بهذا النص إلى متون المذاهب الفقهية الثلاثة المعروفة: المذهب الحنفي، والمالكي، والشافعي، ويرى أن هذه المتون أفسدت، ولم تصلح بما ترتب على تعليمها من نتائج.

أسلوبه:

وأما أسلوبه فجاء قوياً رصينا يؤكد إلمامه باللغة العربية إلمامًا كبيرًا، وجاء أسلوبه مملوءاً بالسخرية من مخالفيه، وننقل عنه هنا بعض نماذج تتضح فيها سمات هذا الأسلوب، فحينما يتحدث عن إحدى القضايا، مثل: قضية المُصرِّ على رأيه رغم ظهور صواب غيره ساخرًا: "﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ [النور: ٤٠] أجارنا الله تعالى من العمى بعد الهدى"(١٥٥)، وكان يسخر كذلك مستشهدًا بالأشعار، ومن ذلك تعليقه حينما يتحدث عن قضية، فيجيبونه عن

---

(١٥١) نسبة إلى كتاب كنز الدر، وهو من مصنفات الفقه الحنفي. البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص٣٨٦.

(١٥٢) وهما في الفقه الحنفي، ألفا في القرن الثاني عشر الهجري للشيخ أسعد أفندي مفتي المدينة المنورة، والشيخ خير الدين إلياس. مجهول: تراجم أعيان المدينة المنورة، ص٣٠، ٤٠.

(١٥٣) نسبة إلى كتاب منهاج الطالبين للإمام النووي. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٨، ص١٩٠.

(١٥٤) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، ص٨٧.

(١٥٥) المصدر نفسه، ص٩٢.

أخرى ساخراً، فيقول:

"شكونا إليهم خراب العراق   فعابوا علينا شحوم البقر"(١٥٦)

وبالإضافة إلى ذلك فقد كان يدرك أن أفكاره وآراءه سوف تجلب عليه المشكلات؛ لذلك لم يكن يثير قضية دينية أو علمية إلا ويورد عليها الدليل من الكتاب والسنة وغيرهما من مصادر التشريع المتنوعة، وكان يردد لذلك قول الشاعر:

"ولست بناج من مقالة طاعن   ولو كنت في غار على جبل وعر
ومن ذا الذي ينجو من الناس سالمًا   ولو غاب عنهم بين خافيتي نسر"(١٥٧)

الشيخ صالح والأدب:

لم تقتصر جهود الشيخ صالح على العلوم الشرعية: الفقه والتفسير والحديث والعقائد، بل نقلت عنه بعض الجهود الأدبية، إذ رويت عنه قصيدة واحدة فقط في الرقائق، وعلى الرغم من أن الشيخ صالح كان فائقا في الجهود السلفية بوجه عام إلا أنه لم يرو عنه - فيما اطلعت عليه من مصادر - سوى هذه القصيدة، ومن أجل الحكم على تلك الجهود من قبل الباحثين، أوردت منها هذه الأبيات:

يا ويح مبتاع الضلالة بالهدى   فلسوف يندم يوم يؤخذ بالنواصي
ما همه إلا لقاء كواعب   عرب تميس كأنها القضب النواصر
النقص في الدنيا يسوء وإنما   حسناته عند الحساب هو النواقص
لم يدر أن لابد يوماً أن يرى   في آلة حدباء تندبه النوادب
فيكون وهو بحاله لم ينتفع   ببكا البواكي بل ولا نوح النوائح

---

(١٥٦) المصدر نفسه، ص٨٢.

(١٥٧) المصدر نفسه، ص٨٣.

فدع التكاسل واستعد محاذراً بغت المنون وما ينوب من النوائب
واذكر إلهك بكرة وعشية واشكر له وصل الفرائض بالنوافل
واعبده واتقه ولا تكفر به وافعل بأمره ولا تأت النواهي
واسأله لا تسأل سواه فإنه من فيض أبحر جوده ترجى النوائل
وارغب إليه ولذ به متوقعاً فرجاً إذا نزلت بساحتك النوازل(١٥٨)

ويتضح من هذه الأبيات الشعرية أن الشيخ ينتمي إلى ما يسمى بمدرسة الشعر المرسل المتحرر من القافية، وإن التزم الوزن الذي جاء صحيحًا، وعلى الرغم من أنه شعر تقليدي فإن الشيخ البيطار يقول عنه حينما أورد هذه القصيدة التي أوردنا جزءًا منها: "وقد أحسن في الأدب كل الإحسان، وأتى بما تضعه العيون؛ فلله دره وفضله، حيث قلد جيد الآداب لؤلؤه الثمين، وخلب الألباب سحره، وملك مجامع القلوب نظمه ونثره"(١٥٩).

ولا شك أنه لا يوصف بهذه الأوصاف إلا من كان شاعرًا جيد القريحة، وبالتالي فأرى أن البيطار الذي أورد هذه الأبيات ربما كانت لديه قصائد أدبية أخرى لهذا العالم دفعته إلى وصفه بهذه الأوصاف، وهو ما يدفعنا إلى القول: إن الأمر ما يزال يحتاج إلى مزيد من البحث.

تلاميذه:

وبالإضافة إلى أثره البارز في مصنفاته وجهوده الدينية والعلمية فقد ترك أثرًا مهماً يتمثل في هذه الكوكبة البارزة من تلاميذه في المدينة المنورة الذين تلقوا أفكاره واتجاهاته بالرضا والقبول، وسعوا في نشرها في هذه المرحلة التاريخية المهمة، ومن أشهر

---

(١٥٨) البيطار، حلية البشر، ج٢، ص٧٢٥.

(١٥٩) المصدر نفسه، ج٢، ص٧٢٣.

هؤلاء التلاميذ الذين اشتهر ذكرهم، وبرز دورهم في المدينة المنورة ومختلف أقاليم العالم الإسلامي الشيخ عمر بن عبدالكريم بن عبدالرسول الشافعي(١٦٠)، ومسند مصر القاطن المدينة المنورة علي بن عبدالبر الونائي(١٦١)، والشيخ عبدالرحمن بن أحمد الشنقيطي، ومفتي المدينة إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي(١٦٢)، وأبو الحسن علي بن محمد الباعلوي(١٦٣)، ومحمد صالح جمل الليل(١٦٤)، ومحمد بن مورد الفلاني، ومحمد أمين حسن الزيلة لي

---

(١٦٠) الشيخ عمر بن عبدالكريم بن عبدالرسول الحنفي المكي، ولد سنة ١١٨٥هـ/ ١٧٧١م، جمع العلم في مكة والمدينة ومصر، قام بالتدريس في الحرم المكي، وتولى الإفتاء، ثم استعفى منه، جمع له تلميذه محدث الهند علي العمري ثبتاً سماه "مدارج الإسناد". كحالة، عمر رضا: معجم المؤلفين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٢هـ، ج٧، ص٢٣٩. الهيلة، التاريخ والمؤرخون، ص٤١١-٤١٢.

(١٦١) الشيخ علي بن عبدالبر الونائي الشافعي المالكي، المنسوب إلى وناء السحاب في مصر، نزيل المدينة المنورة، أخذ العلم عن علماء المدينة المنورة ومكة المكرمة، ترك مصنفات، منها: ثبت صغير وآخر كبير، توفي سنة ١٢١١هـ/ ١٧٩٦م، وقيل: سنة ١٢١٢هـ/ ١٧٩٧م. البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٧٧٠. الزركلي: الأعلام، ج٤، ص٢٩٨.

(١٦٢) الشيخ إسماعيل بن زين العابدين البرزنجي الخالدي، من علماء الحديث والفقه والعربية والأدب، كان كثير الرحلة إلى مكة المكرمة من أجل الحج، وإلى الشام، وبغداد وإلى المدينة المنورة من أجل الزيارة، توفي في بغداد سنة ١٢٥٠هـ/ ١٨٣٤م تقريباً. البيطار: حلية البشر، ج١، ص٣٢٦-٣٢٧.

(١٦٣) الشيخ الشاعر أبو الحسن علي بن محمد الباعلوي البيتي الشافعي المكي، كان معاصراً للعلامة عبدالله سراج، وكان موجوداً بعد الخمسين والمئتين وألف، وكانت له مواقف عظيمة في إفادة الناس، ولم تعرف سنة وفاته. أبو هشام، عبدالله بن صديق: الأسر القرشية أعيان مكة المحمية، تهامة، جدة، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م، ص١٩٧.

(١٦٤) الشيخ زين العابدين محمد صالح بن علوي بن باحسن أبو عبدالله الحسيني المدني الشهير بجمل الليل، مفتي المدينة، ومسندها، ووفاته بها، من مشاهير المدينة، مولده سنة ١١٧٤هـ/ ١٧٦٠م، وكثرت المشكلات السياسية في عهده في المدينة المنورة، وعزل عن الإفتاء من قبل محمد علي باشا في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، توفي سنة ١٢٣٥هـ/ ١٨٢٠م. دار الوثائق: محافظ الأبحاث، معية سنية تركي، محفظة رقم ١، وثيقة مؤرخة في ١١ ربيع الآخر ١٢٢٥هـ/ ١٨١٠م. الزركلي: الأعلام، ج٣، ص٦٥.

المدني[١٦٥]، ومحمد بن صالح الشعاب المدني[١٦٦]، والشيخ أحمد بن عبداللطيف البربير[١٦٧]، ويس الميرغني المكي[١٦٨]، وقاضي مكة المكرمة عبدالحفيظ العجيمي[١٦٩]، ومفتي الشام ابن عابدين الدمشقي[١٧٠]، ومسند المدينة زين العابدين بن جمل الليل الباعلوي المدني[١٧١]، ومحمد صالح بن إبراهيم الرئيس الزمزمي المكي (١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م)، وغير هؤلاء الأعلام.

---

(١٦٥) الشيخ محمد أمين بن حبيب بن أبي بكر بن خضر الزيلة لي الأصل المدني المولد والمنشأ، من علماء القرن الثالث عشر الهجري، من مؤلفاته كتاب الطبقات، جمع فيه طبقات الفقهاء والعباد والزهاد والمؤرخين واللغويين والشعراء، وكانت وفاته في حدود سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٥م. الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٤٢.

(١٦٦) الشيخ أبو عبدالله محمد صالح بن إبراهيم بن محمد الشعاب الرئيس، الزمزمي، الزبيري، الشافعي، سافر إلى مكة المكرمة، ومن مصنفاته فيض الملك العلام لما اشتمل عليه النسك في الأحكام؛ أي: في أحكام المناسك، توفي سنة ١٢٤٠هـ/ ١٨٢٤م. البغدادي: هدية العارفين، ج٢، ص٣٦١.

(١٦٧) الأديب الشيخ أحمد بن عبداللطيف بن أحمد البربير الحسني قاضي دمشق، ولد في دمياط، ورحل إلى الأزهر، وتعلم به، ومن القاهرة سافر إلى بيروت ودمشق، ثم إلى المدينة المنورة، ثم عاد إلى دمشق، وتوفي بها سنة ١١٩٥هـ/ ١٧٨٠م. جرجي زيدان: تاريخ آداب اللغة العربية، ج٤، ص٢٣١.

(١٦٨) الشيخ يس الميرغني، أحد علماء مكة المرموقين خلال القرن الثاني عشر الهجري، ولم تعرف سنة وفاته. البلادي، عاتق بن غيث: هديل الحمام في تاريخ البلد الحرام (تراجم شعراء مكة على مر العصور)، دار مكة، مكة المكرمة، ١٤١٩هـ، ص٦٠٦.

(١٦٩) الشيخ عبدالحفيظ العجيمي المكي الحنفي، خطيب المسجد الحرام وأحد مدرسيه، أخذ عن عبدالملك القلعي مفتي الأحناف، وتولى الإفتاء والقضاء، توفي سنة ١٢٤٦هـ/ ١٨٣٠م. الحضراوي: نزهة الفكر، ق٢، ص٢٠٧. البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٥٠٢. كحالة: معجم المؤلفين، ج٥، ص٨٩.

(١٧٠) الشيخ عبدالعزيز بن أحمد بن عبدالرحيم بن عابدين الدمشقي، إمام الحنفية في عصره، والمرجع عند اختلاف الآراء، وله الكثير من المصنفات من كتب ورسائل وأشعار، ولد سنة ١٢٩٨هـ/ ١٨٨٠م، وتوفي سنة ١٢٥٢هـ/ ١٨٣٦م. البيطار: حلية البشر، ج٣، ص١٢٣٠. الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٤٢.

(١٧١) الشيخ زين العابدين أحمد باعلوي بن جمل الليل باعلوي المدني، قرأ في المدينة المنورة، وأخذ عن علمائها، وحضر دروس أعيانها وعلمائها في العلوم كافة، ثم تصدر للتدريس في المدينة المنورة، وتوفي بها ثالث ربيع الأول سنة ١٢١٦هـ/ ١٨٠١م. البيطار: حلية البشر، ج١، ص٢٨٤-٢٨٦. أبو هشام: أعيان مكة المحمية، ص٢٣٤.

وينبغي أن نسجل ملاحظة لها أهميتها ودلالتها، وهي: أن أساتذته من مختلف أقاليم العالم الإسلامي التقاهم بسبب تنقله وترحاله بنفسه إليهم، بينما تلاميذه أخذوا عنه في المدينة المنورة، وإن كانوا من أقاليم مختلفة أيضاً، وهو ما يعطي خلفية مهمة عن استقراره في المدينة المنورة حتى وفاته باستثناء رحلته إلى مكة المكرمة للحج، ومع ذلك فقد انتشرت سيرته العطرة في بلاد الإسلام عن طريق تلاميذه، ويكفي أن ننقل عن الشيخ منير أحمد قوله عنه: "قَلَّ أن تخلو بلدة من بلاد الإسلام في وقته إلا وله منها عدة من التلاميذ كما يعلم ذلك من عني بالأثبات ومطالعة طبقات الرجال"(١٧٢).

وفاته:

توفي الشيخ صالح الفلاني في ليلة الخميس الخامس من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م(١٧٣)، ودفن بالبقيع عن اثنتين وخمسين سنة في المدينة المنورة، ولم يخالف هذا الرأي سوى صاحب "الدر الفريد" الذي يرى أن وفاته كانت سنة ١٢٠٧هـ/ ١٧٩٢م(١٧٤)، وهو رأي ضعيف، ذلك أن كتاب "قطف الثمر"، وهو من مؤلفات الشيخ نسخه أحد تلاميذه بعد وفاته مؤكدًا أنه توفي سنة ١٢١٨هـ/ ١٨٠٣م(١٧٥)، وقد دفن في المدينة المنورة بالبقيع، رضي الله عنه، ورحمة الله عليه. وعلى المخلصين من أمة محمد ﷺ، بعد ما أدى دوره في خدمة الإسلام.

---

(١٧٢) الفلاني: إيقاظ همم أولي الأبصار، مقدمة التحقيق، ص (ص).

(١٧٣) البيطار: حلية البشر، ج٢، ص٧٢٣. البغدادي: هدية العارفين، ج١، ص٢٤٢. بروكلمان: تاريخ الأدب العربي، ق٩، ص٤٢. الحضراوي: نزهة الفكر، ق٢، ص٤٥. الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٩٥.

(١٧٤) الواسعي: الدر الفريد، ص١٢٠.

(١٧٥) الفلاني: قطف الثمر، ورقة ٢٨.

الملاحق

ملحق رقم (١)

الموضوع:

ورقة العنوان للمخطوط "قطف الثمر في رفع أسانيد المصنفات في الفنون والأثر"، وهو مخطوط يحتاج إلى التحقيق، وإظهار جوانبه الإيجابية، لأنه يعد درة للفكر السلفي في مطلع القرن الثالث عشر الهجري، وهو من أبرز مؤلفات الشيخ صالح الفلاني.

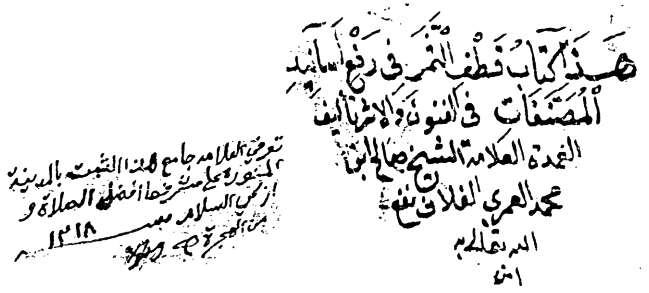

هذا كتاب قطف الثمر في رفع أسانيد
المصنفات في الفنون والأثر تأليف
العمدة العلامة الشيخ صالح ابن
محمد العمري الفلاني نفع
الله بعلمه
آمين

[illegible] العلامة جامع هذا الثبت بالمدينة
المنورة على مشرفها أفضل الصلاة و
أزكى السلام سنة ١٢١٨
من الهجرة [illegible]

المصدر: مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٥، مصطلح حديث، طلعت.

ملحق رقم (٢)

الموضوع:

الورقـة الأولى من المخطوط المهم "إيقـاظ همم أولي الأبصـار"، الذي ألفه الشيخ صالح الفلاني المعني بالدراسة.

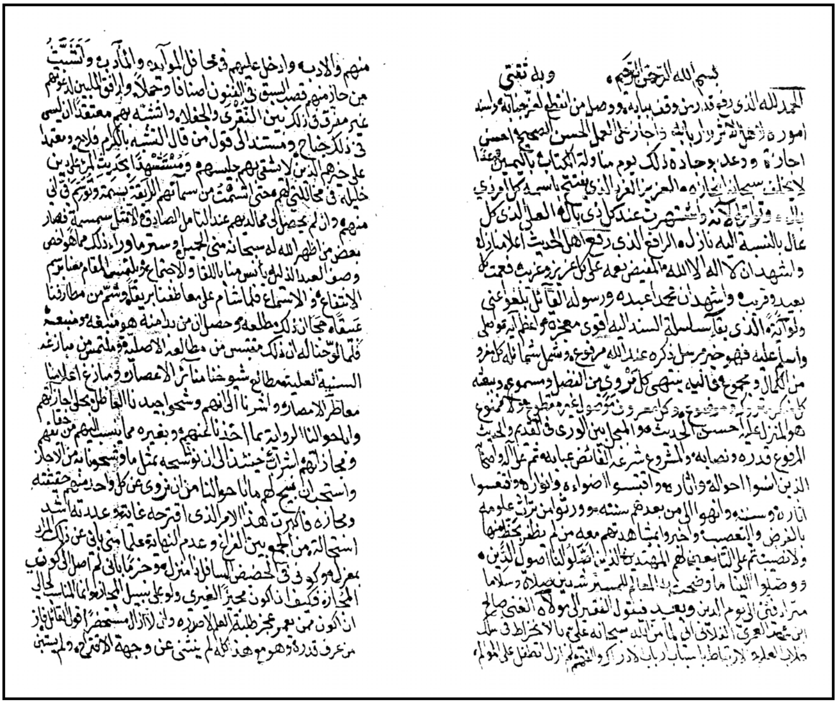

المصدر: مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم ١٩٥، مصطلح حديث، طلعت.

ملحق رقم (٣)

الموضوع:

ثبت الشيخ صالح الفلاني الذي رواه أحد تلاميذ التلاميذ للشيخ، وهو الشيخ جمال الدين عبدالله بن عمر المكي الحنفي المؤرخ في ٢٩ شهر رجب ١٢٨٢هـ، وعليه ختم الشيخ المذكور كما يظهر في الوثيقة، وهو يضيف معلومات تفيد أن أفكار الشيخ صالح ظلت تتواتر، وتشتهر حتى بعد وفاته بأكثر من خمس وخمسين سنة تقريبا.

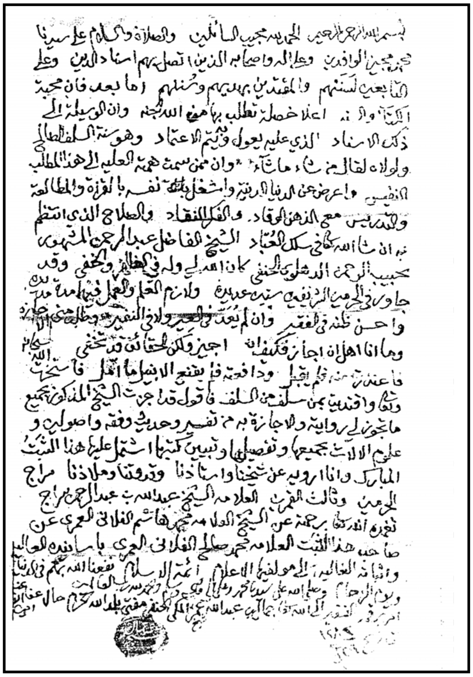

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله مجيب السائلين والصلاة والسلام على سيدنا
محمد مجيز الوافدين وعلى آله وأصحابه الذين اتصل بهم إسناد الدين وعلى
التابعين لسننهم والمقتدين بهديهم وسننهم أما بعد فإن محبة
[illegible] أعلى خصلة تطلب بها من الله الجنة وإن الوسيلة إلى
ذلك الإسناد الذي عليه يعول وبه يتم الاعتماد وهو سنة السلف الصالح
ولولاه لقال من شاء ما شاء وإن ممن سمت همته العلية إلى هذا المطلب
النفيس وأعرض عن الدنيا الدنية واشتغل بتكميل نفسه بالقراءة والمطالعة
والتدريس مع الذهن الوقاد والفكر النقاد والصلاح الذي انتظم
به إن شاء الله في سلك العباد الشيخ الفاضل عبد الرحمن المشهور
بحبيب الرحمن الدهلوي الحنفي كان الله له وليه في الظاهر والخفي وقد
جاور في الحرمين الشريفين سنين عديدة ولازم العلم والعمل فيهما مدة مديدة
وأحسن ظنه في الفقير وإن لم يعد في العير ولا في النفير وطلب مني إجازة
وما أنا أهل أن أجاز فكيف أن أجيز ولكن الحقائق قد تختفي سبحان الله
فاعتذرت [illegible] فلم يقبل ودافعته فلم يقنع إلا بنيل ما أمل فاستخرت
الله واقتديت بمن سلف من السلف فأقول قد أجزت الشيخ المذكور بجميع
ما يجوز لي روايته والإجازة به من تفسير وحديث وفقه وأصولين و
علوم الآلات بجميعها وتفصيلها وتبيين كتبها اشتمل عليه هذا الثبت
المبارك وأنا أرويه عن شيخنا وأستاذنا وقدوتنا وملاذنا سراج
الحرمين وثالث القمرين العلامة الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن سراج
تغمده الله تعالى برحمته عن الشيخ العلامة محمد هاشم الفلاني العمري عن
صاحب هذا الثبت العلامة محمد صالح الفلاني العمري بأسانيده العالية
وإثباتها الغالية إلى مؤلفيها الأعلام أئمة الإسلام نفعنا الله بهم في الدنيا
ويوم الزحام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين
أمر برقمه الفقير إلى الله تعالى جمال عبد الله بن عمر المكي الحنفي مفتي بلد الله الحرام حالا عفا الله عنه آمين
١٢٨٢

المصدر: المخطوط السابق نفسه، الورقة الأخيرة، وهي ورقة مضافة إلى أصل المخطوط وغير مرقمة، حيث تسبقها الورقة الأخيرة من المخطوط، أضيفت سنة ١٢٨٢هـ بعد كتابة المخطوط بحوالي تسعة وسبعين عاما تقريبا.